وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد عربي قديم

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الموسومة بـ:

النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي المعاصر

-دراسة مقارنة-

إشراف الأستاذ:

د. عبو عبد القادر

إعداد الطالبة:

باي ماجدة عالية

لجنة المناقشة

أ.دكتور:	عبيد نصر الدين	رئيسا
أ.دكتور:	عبو عبد القادر	مشرفا
دكتور:	مرسلي عبد السلام	مناقشا

الموسم الجامعي

(1440هـ-1441هـ/2019-2020)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث

أستاذي المشرف عبو عبد القادر الذي أعانني بتوجيهاته في

إتمام هذا البحث على هذه الصورة، إلى كل من علمني حرفا

و ساهم في تكوين شخصيتي

العلمية إلى كل من ساهم في إنتاج هذا البحث من بعيد أو

قريب أشكرهم جميعا و أجرهم على الله

إهداء

إلى سندي في الحياة "والدي الحبيب".

إلى من وضع المولى –سبحانه و تعالى- الجنة تحت قدميها "أمي الحبيبة".

إلى جدي و جدتي –رحمهما الله- .

إلى زوجة أخي الكريمة من كان لها الفضل في دعمي و مساندتي.

إلى عائلتي الكريمة التي بفضل دعواتها تخطيت العقبات، أهدي لهم بحث تخرجي داعية المولى –عزوجل- أن يطيل في أعمارهم .

إلى زميلي –مقدم رضوان- الذي أكن له كل الاحترام و التقدير.

إلى أساتذتي الكرام و إلى كل طلبة العلم أهدي ثمرة جهدي.

خطة المذكرة:

- **المقدمة العامة**
- **مدخل: إرهاصات النقد الثقافي في النقد الغربي**
  - المفهوم والنشأة
  - موضوعات النقد الثقافي
  - خصائص النقد الثقافي
- **الفصل الأول: النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر**
  - إشكالية المصطلح في النقد العربي
    - مفهوم الثقافة
    - مفهوم النقد الثقافي
    - النقد الثقافي في المشهد العربي
  - الخطاب العربي المعاصر والقراءات النقدية الحديثة
    - القراءة السياقية في الخطاب العربي المعاصر
    - القراءة النسقية في الخطاب العربي المعاصر
  - رواد المنهج الثقافي
- **الفصل الثاني: تجليات النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر**
  - المرجعية الذاتية لعبد الله الغدامي وإدوارد سعيد
    - عبد الله الغدامي ومرجعية مشروعه الثقافي
    - إدوارد سعيد ومرجعية مشروعه الثقافي
  - صور النقد الثقافي في كتاب عبد الله الغدامي بعنوان النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية-
    - بطاقة تقنية للكتاب
    - وصف الكتاب
    - تحليل الكتاب
    - الآراء النقدية

- القضايا النقدية والمرجعيات الغربية لإدوارد سعيد في كتابه الاستشراق
  - بطاقة تقنية للكتاب
  - وصف الكتاب
  - تحليل الكتاب
  - الآراء النقدية

- **خاتمة**
- **قائمة المصادر والمراجع**
- **الملاحق**

البسملة	
الإهداء	
شكر وعرفان	
الفهرس	
المقدمة العامة	أ
مدخل: إرهاصات النقد الثقافي في النقد الغربي	5
المفهوم والنشأة	5
موضوعات النقد الثقافي	11
خصائص النقد الثقافي	12
الفصل الأول: النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر	
إشكالية المصطلح في النقد العربي	16
مفهوم الثقافة	16
مفهوم النقد الثقافي	19
النقد الثقافي في المشهد العربي	22
الخطاب العربي المعاصر والقراءات النقدية الحديثة	29
القراءة السياقية في الخطاب العربي المعاصر	29
القراءة النسقية في الخطاب العربي المعاصر	31
رواد المنهج الثقافي	32
الفصل الثاني: تجليات النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر	
المرجعية الذاتية لعبد الله الغدامي وإدوارد سعيد	36
عبد الله الغدامي ومرجعية مشروعه الثقافي	36
إدوارد سعيد ومرجعية مشروعه الثقافي	41
صور النقد الثقافي في كتاب عبد الله الغدامي بعنوان النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية-	47
بطاقة تقنية للكتاب	48
وصف الكتاب	49
تحليل الكتاب	49
الآراء النقدية لهذا الكتاب	50
القضايا النقدية والمرجعيات الغربية لإدوارد سعيد في كتابه الاستشراق	51

بطاقة تقنية للكتاب	52
وصف الكتاب	53
تحليل الكتاب	53
الآراء النقدية لهذا الكتاب	54
خاتمة	57
قائمة المصادر والمراجع	59
الملاحق	

مقدمة

عرف النقد العربي المعاصر مع نهايات القرن الماضي انفتاحا على جملة من التوجهات النقدية التي تحاول تجاوز المنجز البنيوي، وذلك إثر ظهور مرحلة جديدة أطلق عليها نقد ما بعد البنيوية، ويعد النقد الثقافي أبرز نشاط نقدي عرفه العرب في بدايات هذا القرن، بدعوى أنه بديل النقد الأدبي وقد كانت دراسة عبد الله الغدامي الموسومة بـ«النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية» أول دراسة عربية تتبنى صراحة نظرية النقد الثقافي، معلنة موت النقد الأدبي ومحاولة تفويض معالمه، أما دراسة إدوارد سعيد فتمثلت في القضايا النقدية والمشاغل السياسية والحدود التي فرضا على الفكر والفعل.

كما توالت مجموعة من الدراسات النقدية محاولة تبني مقولات النقد الثقافي بغية القراءات الخطابات والنصوص الأدبية، قراءة ثقافية والكشف عن الأنساق والتمثيلات الثقافية المضمرة داخلها، وبهذا أحدثت إنجازاته نقلة نوعية في مسار الحركة النقدية العربية إضافة إلا أنه انخرط في أفق النقد المعرفي الذي تلتقي فيه مختلف العقول المعرفية موظفا منجزات علم النفس والعلوم، شكلت تجربته حدثا ثقافيا مهما.

لقد استهدف النقد الثقافي تفويض البلاغة والنقد معا، بغية بناء بديل منهجي جديد يتمثل في المنهج الثقافي الذي يهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة، ودراستها في سياقها الثقافي والاجتماعي والتاريخي والسياسي والمؤسساتي فهما وتفسيرا، ومن هنا كانت إشكالية بحثي والتي تمثلت في عدة تساؤلات من بينها:

- ما هو النقد الثقافي وما هو تطوره التاريخي؟
- ما الجديد الذي قدمه النقد الثقافي للساحة النقدية العربية وللثقافة ككل؟
- هل اختلفت الرؤى بين الناقد العربي عبد الله الغدامي الموجود داخل النسق الثقافي العربي والناقد إدوارد سعيد الموجود داخل المركزية الغربية.

وتأرجحت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع بين أسباب موضوعية وأخرى ذاتية، تمثلت هذه الأسباب الموضوعية في: حداثة مشروع النقد الثقافي في الساحة النقدية، أما الأسباب الذاتية فكانت كالآتي:

معرفة كيف تعامل الناقد «عبد الله الغدامي» مع النقد الثقافي في قراءة الأنساق الثقافية العربية، وكيف اختلفت مشاريعه النقدية عن مشاريع «إدوارد سعيد».

أما بالنسبة للأهداف المستوحاة من هذا البحث تمثلت في:

- التمكن من فهم النقد الثقافي، وكيف طغى على الساحة النقدية.
- الكشف عن مشاريع النقد الثقافي عند الناقدين عبد الله الغدامي وإدوارد سعيد.
- رغبتنا في إضافة علمية قدر المستطاع.

هذه الدراسة جاءت على تسليط الضوء لمعرفة النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، حيث تم تصميم بحثي كما يلي:

مدخل، مقدمة وفصلين حاولت من خلالها تقديم نظرة شاملة حول النقد الثقافي من الجانب النظري أما التطبيقي اعتمدت على قراءة في كتابي الغدامي وإدوارد سعيد.

مدخل بعنوان: إرهاصات النقد الثقافي في النقد الغربي، وقسم هذا الأخير إلى ثلاثة عناصر بدوره وهي: المفهوم والنشأة، ثانيا: موضوعات النقد الثقافي، أما العنصر الثالث كان حول خصائص النقد الثقافي.

تحدثت في الفصل الأول عن النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، كما قسمته إلى ثلاثة عناصر: وهي العنصر الأول إشكالية المصطلح في النقد العربي، العنصر الثاني: الخطاب العربي المعاصر والقراءات النقدية الحديثة، العنصر الثالث: رواد المنهج الثقافي في الوطن العربي، أما الفصل الثاني بعنوان: تجليات النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، تناولت في العنصر الأول المرجعية الذاتية لعبد الله الغدامي وإدوارد سعيد، أما العنصر الثاني: صور النقد الثقافي في كتاب الغدامي بعنوان النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية ،أما العنصر الثالث والأخير فيتناول قضايا النقدية والمرجعيات الغربية لإدوارد سعيد في كتابه الاستشراق.

وخاتمة البحث أوردت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

واعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج «الوصفي التحليلي المقارن» من خلال عقد المقارنة بين الناقدين العربيين عبد الله الغدامي وإدوارد سعيد.

أما عن أهم المراجع التي اعتمدت عليها:

- دليل الناقد الأدبي: ميجان الرويلي وسعد البازغي.
- النقد الثقافي «آرثر ايزابرجر».
- النقد الثقافي «قراءة في الأنساق الثقافية العربية».

دون أن أنسى ذكر بعض الصعوبات والعراقيل التي اعترضت سبيلي في دراستي لهذا البحث منها:

- قلة الكتب الورقية بحكم غلق المكتبات الجامعية وذلك بسبب جائحة كوفيد 19.
- قلة المصادر والمراجع التي اهتمت بهذا الموضوع.

مدخل

تمهيد

يعد المنهج الثقافي واحد من المناهج المتميزة في الفكر النقدي، وفي الثقافة العربية بوصفه مشروع نقدي وفكري، تتجلى فيه بوضوح شعرية الخطاب النقدي الذي هيمنت فيه جميع الدراسات لصياغة فكر نقدي أصيل، انطلاقا من خلفيات تاريخية، ولغوية، وقاعدة معرفية زاخرة لمستجدات المشهد النقدي.

النقد الثقافي المفهوم والنشأة:

يعتبر النقد الثقافي من المناهج النقدية لما بعد بنيوية التي ظهرت في أوربا وبعد ظهورها في أوروبا «حسب تقدير بعض الباحثين في القرن الثامن عشر ولكنه اكتسب سمات محددة على المستويين المعرفي والمنهجي في تسعينيات القرن العشرين».[1]

النقد الثقافي هو وليد الدراسات الثقافية التي ظهرت إرهاصاتها المبكرة بعد الحرب العالمية الأولى ونمت وتكاملت في عصر النهضة الأوربية، والدراسات الثقافية هذه التي أثمرت كما يرى - آرثر ايزابرجر- نشوء النقد الثقافي، مختلف في تحديد بدايتها. فيما يرى برجر أنها نشأت في السبعينيات حين شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام في عام 1971 في نشر صحيفة أوراق عمل في الدراسات الثقافية.[2] نجد بعض الباحثين يذهب إلى أن الدراسات الثقافية ارتبطت بمدرسة فرانكفورت في أمريكا وارتبطت من ناحية أخرى بجامعة برمنجهام، إذ ألف العديد من المثقفين المرتبطين بمعهد البحوث الاجتماعية الماركسي عام 1923 في فرانكفورت دراسات علمية حول القاعدة الاقتصادية للمجتمع خلال العشرينيات ثم حولوا اهتمامهم خلال الثلاثينيات إلى الأبحاث المتعددة المجالات في دراسة البنية الفوقية للثقافة.[3]

ولد النقد الثقافي، (قبل تسميته) في كتابات: (أدورنو)، (غرامشي)، (ميشيل فو كو)، (فرانز فانون)، (جوليان بيندا)، (رولان بارت)، وغيرهم، قبل أن تظهر مصطلحات: النقد الثقافي، الدراسات الثقافية، والنقد السياسي، ومشتقاتها: دراسات الاستعمار، وما بعد الاستعمار، والنقد النسوي... وغيرها، ثم جاءت

[1] علي شناوة آل وادي، سامر قحطان سلمان: النقد الفني دراسة في المفاهيم والتطبيقات، ص 151.

[2] ينظر في تفاصيل الفروق بين الثقافة والحضارة: مفهوم الثقافة: 19 وما بعدها

[3] ينظر: النقد الثقافي، آرثر ايزا برجر : 31.

دراسات نقدية تمثل تيارا قويا،انطلق من الفلسفة، ونظرية الأدب، والتاريخ: (تيري إيجلتون)، (أنتوني إيستهوب)، (رايموند وليامز)، (جاك ديريدا) ،(جيلس جن)، (جوليان كريستيفا)، وغيرهم، فضلا عن دراسات الاستعمار: (إدوارد سعيد)، (سبيفاك)، (هومي بابا)، وغيرهم، وفي منتصف الستينيات، بدأ تيار النقد الثقافي يتشكل، ليصارع تدريجيا، النقد الأدبي، متهما إياه بالانغلاق والنمطية الشكلانية.[1]

وعد النقد الثقافي المنتج منهم مفهوما برجوازيا أنتجه المجتمع الاستهلاكي ولابد من معرفة حقيقته، لأنه يحول الثقافة إلى سلعة".[2]

إن الظهور الفعلي والحقيقي للنقد الثقافي لم يتحقق إلا في سنوات الثمانين من القرن العشرين (1985)، وذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث استفاد هذا النقد من البنيوية اللسانية والأنثروبولوجيا، والتفكيكية، ونقد ما بعد الحداثة والحركة النسوية، وأطروحات ما بعد الاستعمارية...

فمما لاشك فيه إن تطور الدراسات الثقافية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر،قد ساعد على إنضاج النقد الثقافي، فقد اقترن النقد الثقافي بالدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة برمنجهام.[3] ولعل اقتران النقد الثقافي بالدراسات الثقافية السابقة عليه وارتباطه في نشأته بها فضلا عن الاشتراك في المفاهيم أدى إلى حدوث خلط كبير لدى النقاد والباحثين الغرب والعرب في تحديد المجالين والاصطلاح عليهما، فكثيرا ما أطلق على الدراسات الثقافية نقد ثقافي، وعلى النقد الثقافي دراسات ثقافية.

ومن ثمة لم ينطلق النقد الثقافي إلا بظهور مجلة «النقد الثقافي» التي كانت تصدر في جامعة مينيسوتا في شتى المجالات الثقافية، وبعد ذلك أصبح النقد الثقافي يدرس في معظم جامعات الولايات المتحدة الأمريكية.

ويعد الناقد الأمريكي "فنسنت ليتش" من أبرز النقاد الغربيين الذين حددوا مصطلح النقد الثقافي في مرحلة ما بعد البنيوية، فالنقد الثقافي عنده يختلف عن مقاربات الأدب التقليدية، وهو لا يعنى بالأدب المعتمد أي الأدب الراقي ونصوص الثقافة الرسمية والنصوص الجمالية وإنما يعني أيضا بالأدب غير المعتمد والنصوص

[1] ينظر، النقد الثقافي المقارن منظور جدلي تفكيكي، عز الدين مناصرة: ص 231.

[2] قماري ديامنتة:النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي، مذكرة لنيل درجة الماجستير،النقد العربي المعاصر ومصطلحاته،كلية الآداب واللغات،جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، اشراف د أحمد زغب، 2012-2013، ص 23-24

[3] ينظر: مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة : 93.

غير الجمالية ويوظف النقد الثقافي المقالة النقدية والتحليل المؤسساتي إلى جانب مناهج تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية ويمتاز النقد الثقافي في مرحلة ما بعد البنيوية عند ليتش بتوظيف بارت وديرداوفوكو".[1]

وكتب آرثر ايزابرجر في كتابه النقد الثقافي جغرافيا للنقد الثقافي، فذكر رواد النقد الثقافي فنجد في:

- **فرنسا:** رولان بارت،كلود ليفي شتراوس، ميشيل فوكو، لوي التوسير، جانلاكان، اميل دوركايم، جاك ديريدا، بييربورديو، اندريه بيزيه، غريماس.
- **روسيا:** باختين، بروب،لوتمان، شوكلوفسكي .
- **ألمانيا:** ماركس، ماركس فيير، هابرماس، ادورنو، والتر بينجامين، ماركس هوركهايمز، هربرت ماركوز، هانزجادامر.
- **الولايات المتحدة:** بيرس تشومسكي، فييرشرمان، جاكبسون، فيكتورتيرنر، فردريك جيمسون....
- **كندا:** ميشيل ماكلون، نورثروب فراي.....
- **انجلترا:** رايموند وليامز، ستيوارت هول فنجتستاين، ريتشارد هوجارت، ماري دوغلاس وليام إمبسون...[2]

ومن هؤلاء نستحضر الناقد الأمريكي ليتش الذي اهتم بالنقد الثقافي منذ سنوات الثمانين من القرن العشرين، وخاصة في كتابه «النقد والطابو»: النقد الأدبي والقيم 1987م حيث بلور منهجية جديدة سماها النقد الثقافي، وقد اصدر مجموعة من الكتب النقدية: ما بعد البنيوية، والنقد الثقافي، والنظرية الأدبية، والنقد الأدبي الأمريكي...

هذا وقد كتب ليتش مجموعة من المقالات النقدية في إطار النقد الثقافي للتعريف به نظرية وتطبيقا، وذلك منذ سنة 1987 م لتبيان موقفه من مابعد الحداثة. وقد كتب ليتش سنة 1983 م كتابا حول النقد

[1] ضياء الكعبي: السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، بيروت لبنان، ص518-519.

[2] آرثر ايزايرجر: النقد الثقافي، ص 23.

الثقافي مبينا مرتكزاته النظرية والتطبيقية وأصدر كتابا سنة1992م، بعنوان النقد الثقافي نظرية الأدب لما بعد الحداثة. واهتم بدراسة الخطاب في ضوء التاريخ والسوسيولوجيا والسياسة والمؤسساتية ومناهج النقد"[1]

ومما لا ريب فيه أن النقد الثقافي نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته، فنقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات، على الفنون الراقية والثقافة الشعبية، والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة، فإن النقد الثقافي، هو مهمة متداخلة، مترابطة متجاوزة متعددة، كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي، وبمقدوره أيضا أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية كالانثربولوجيا، ودراسات الاتصال والبحث في وسائل الإعلام، والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة، وحتى غير المعاصرة. [2]

والنقد الثقافي كما يعرفه آرثر ايزابرجر هو «نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته»[3] أي يوظف النقاد المفاهيم التي قدمتها المدارس الفلسفية والاجتماعية والنفسية والسياسية في تبادلات وتركيب معينة، ويقومون بتطبيقها على الفنون الراقية والثقافة الشعبية بلا تمييز بينهما من حيث الكيف، اعتقادا منهم بان هذا يتسع له مجال المصطلح الذي كان يطبق على الفن الراقي فقط، ومن ناحية أخرى الاستفادة من إمكاناته بتطبيقها في كشف الطاقات والأنظمة الثقافية والإشكالات الإيديولوجية وأساليب الهيمنة والسيطرة المختزلة في النصوص برمتها، الراقية أو الشعبية، حتى تتبدى الكيفية التي بها تتشكل هذه الأبعاد والجوانب والمستويات للوعي الفردي والتاريخ الإنساني[4] وكون النقد الثقافي نشاط وليس مجالا منفصلا بذاته عن غيره يعني انه فعالية ترمي ممارسة واستثمار ما هو متاح لها وما يدور حولها، مما هو موجود من تنظيرات وإجراءات في ميادين مختلفة، وتوسيع مديات تلك الممارسة تضم جوانب أخرى لم يصلها نشاط تلك الميادين من قبل، والنقد الثقافي يمثل نقلة كونه نشاطا يستهدف أولا الثقافة بتشكيلاتها وتمظهراتها المختلفة لذا وسم بكونه " نظرية جديدة في النقد تقوم على البحث عن الثقافي في النصي وعن النصي في الثقافي، وهو ما يعني لأول مرة، قيام النقد

[1] جميل حمداوي: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، 4 يناير 2012م.

[2] النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، آرثر ايزابرجر31.

[3] ينظر : موسوعة كمبريدج : 79.

[4] ينظر : تكوين النظرية، ناظم عودة :352-353.

بوظيفة معالجة الأعمال الأدبية في ضوء عدة سياقات ثقافية متقاطعة فيما بينها "[1] فالنقد الأدبي وفقا للمنظور السابق يقوم بعمليتين متواشجتين أولهما رصده التأثير ما هو خارج النص في النص وثانيهما تأثير النص فيما هو خارجه أي المجتمع.

ولعل الوعي بفعالية النقد الثقافي جعل ستيفان كوليني يمنحه بعدا مفهوميا يدل على التحرك من مجموعة العمل الفني والفكري نحو الخارج باتجاه المجتمع.[2]

وتوجه النقد الثقافي نحو ثقافة المجتمع، جعل بعض نقاد نيويورك يصفونه بالنقد الاجتماعي، لأنهم كانوا يستعملون مفهومي (المجتمع) و(الثقافة) كمترادفين[3] ووفقا لهذا المفهوم أيضا يرى تيري ايغلتون أن النقد الثقافي في حالة حرب مع الحضارة لا في حالة تطابق معها وانسجام.[4]

والنقد الثقافي حديث النشأة، وقد كانت النشأة الحديثة سببا في غياب كلمة (النقد الثقافي) عن مجلدات تاريخ النقد الأدبي وعن معاجم المصطلحات النقدية تماما أو تهميشها بشدة، حتى وقت قريب، وفي ذلك تتساوى معاجم المصطلحات الأجنبية حتى نهاية القرن العشرين، مثل (أبرامز، كودن، اوزوالد وتودوروف، روجر فاولر)، وكذلك المعاجم العربية المتداولة مثل (معجم مجدي وهبة، وموسوعة عبد الواحد لؤلؤة، ومصطلحات محمد عناني، ومعجم سعيد علوش وحتى المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية لثروت عكاشة) فقد خلت من مصطلح النقد الثقافي[5] والأمر الآخر لا يقف عند المعاجم النقدية العامة، بل حتى المعاجم المختصة لا تشير إليه، فهو مثلا غائب عن المعجم الغربي المختص بالجانب الثقافي من النقد مثل معجم النظرية الثقافية والنقدية (A dictionary of Cultural and Critical Theory) الصادر عام 1996م.

---

[1] النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسة، آرثر ايزابرجر: 30.

[2] ينظر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسة :13 . مقدمة المترجم.

[3] تكوين النظرية : 353-354 .

[4] ينظر : دفاعا عن النقد الثقافي، ستيفان كوليني، تر: رمضان مهلهل سدخان، الثقافة الأجنبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع 3-4، 2010 :108.

[5] ينظر: النقد الأدبي الأمريكي: 104.

كما أن ليتش الذي ألف كتابا في النقد الثقافي عام 1992م لم يوله اهتماما في المدخل الموسع الذي كتبه لـ(الدراسات الثقافية) ضمن المجلد الذي أصدرته جامعة جونز هوبكنز للنظرية والنقد الأدبي عام 1994م، وقد أدى ذلك إلى أن يظل النقد الثقافي بعيدا عن القدر اللازم من القعيد والتنظير[1]. وتطور هذا الميدان من النشاط النقدي، ونمو النشاط البحثي في التعرف عليه، ظل حكرا على الثقافة الغربية، إذ شكلت المرجعية الرئيسة للتعرف على سماته ومراحل تطوره[2]. ومما يلاحظ في نشأة النقد الثقافي أن للمصطلح ظهور اسبق بكثير، من ظهور المفهوم وتجليه في الساحة النقدية والفكرية، فبينما تؤكد المؤلفات الغربية والمؤلفات العربية على نشوء النقد الثقافي مفهوما وتنظيرا في تسعينيات القرن الماضي، نجد ظهورا لتسمية (النقد الثقافي) في بعض الكتابات الغربية أسبق من ذلك بكثير.

فمن الإشارات المبكرة تلك الإشارة الشهيرة للمفكر الألماني اليهودي تيودور ادورنو في مقالته التي عنوانها (النقد الثقافي والمجتمع) والتي تعود إلى عام 1949م، المقالة التي تضمنت هجوما على نوع من النقد البرجوازي الذي ساد في نهاية القرن التاسع عشر والذي يمثل الثقافة السائدة عند الأكثرية وبعدها عن الحقيقة ونزوعها السلطوي، والنقد الثقافي في هذه المقالة يتخذ مفهوما سياسيا توجه فيه العديد من المفكرين والنقاد ذوي الانتماء اليهودي، إلى الثقافة الغربية في ألمانيا بوجه خاص، بوصفها تتسامح مع النزوع التآمري ضد الأقليات وذوي الاتجاهات الثقافية المغايرة من جماعات وأفراد[3]. والمفهوم الذي تقدمه مقالة ادورنو على ما يبدو هو مفهوم عام يتوجه إلى نقد الممارسات السياسية الخاطئة داخل ثقافة معينة.

وقد مثلت هذه الدعوات بداية لنشوء النقد الثقافي بمفهومه القائم على التعالق بين الثقافي بمكوناته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والدينية – والنصي. وتوسيع ماديات الدراسة النقدية للخروج عن إطار الأدب إلى الفنون ومعطيات الثقافة برمتها.

[1] ينظر: فكرة الثقافة، تيري ايغلتون : 32.

[2] ينظر: النقد الثقافي-نظرة خاصة-، إبراهيم فتحي، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع 63، شتاء-ربيع 2004 : 128.

[3] ينظر: دليل الناقد الأدبي : 306.

والنقد الثقافي بمفهومه ذاك هو ما دفع فنسنت ليتش إلى أن يرى فيه معوقا للنقد الشكلاني وما يقاربه من اتجاهات[1]. لأنها قصرت فعالياتها النقدية على الجانب الشكلي من الأدب ولم تتعداه . وبذا نستطيع القول أن النقد الثقافي مر بمرحلتين في تشكله المفهومي أولاهما عامة متداخلة مع حقل الدراسات الثقافية وثانيها خاصة منهجية مثلتها مرحلة ما بعد البنيوية اذ برز النقد الثقافي الما بعد بنيوي في نتاج فنسنت ليتش فقد طرح فنسنت ليتش مصطلح (النقد الثقافي) مسميا مشروعه النقدي هذا الاسم تحديدا، وجعله رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية حيث نشا الاهتمام بالخطاب بما انه خطاب، وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب، تغيير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السيوسيولوجيا والتاريخ والمؤسساتية، من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي.

موضوعات النقد الثقافي:

تتناول الدراسات الثقافية بصفة عامة والنقد الثقافي بصفة خاصة المواضيع ذات الصنعة الثقافية والذهنية والفكرية سواء كان ذلك في المجتمعات البدائية أم المجتمعات الثقافية المتمدنة، ويعني هذا أن الثقافة ترتبط بعالم الفن، والخيال والأفكار، والتشكلات البشرية، والتركيز على المؤسسات الثقافية، وبيان أنظمتها الدلالية ومعرفة كل ما أنتجته الثقافة وما أفرزته.[2]

ومن ثم فالنقد الثقافي هو الذي يدرس النصوص والخطابات ضمن أنساقها التناقضية المضمرة، سواء أكان ذلك في الشعر أم الرواية أم القصة أم المسرح ، بل يمكن القول : إن النقد الثقافي يمكن تطبيقه في جميع المجلات الأدبية والفنية وبالتالي ، يدرس النقد الثقافي مواضيع عدة منها المرأة، الجنس ...إلخ وعلاقة الآنا بالغير، والهويات المهمشة، والمواضيع المرفوضة والممنوعة في الأوساط الأكاديمية.

كما تنكب على الأعراف غير المقبولة مؤسساتيا وبهذا تتحول ثقافة الهامش إلى ثقافة المرتكزة ومن هذه الصعوبة القاهرة، أصبح التعامل مع الثقافة تعاملاً محليا أي ضمن المؤسسة الثقافية الخاصة، لذلك يأتي تعريف

[1] ينظر: دليل الناقد الأدبي: 307.

[2] عبد الله الغذامي، د عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي ؟ 2004 م ،ص 13

الثقافة أبدا مقصورا على خصوصية مجتمعه ، أي إن النظام الثقافي في خصوصيته سيبقى منغلقا على نفسه مهما حاول الإنفتاح.[1]

النقد الثقافي هو الذي يدرس النص لا من الناحية الجمالية بل من حيث علاقته بالإيديولوجيا والمؤثرات التاريخية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، ويقوم بالكشف عنها وتحليلها بعد عملية التشريح النصية.

أو يمكن القول أنه هو الذي يدرس الخطاب بما أنه خطاب بغض النظر عن كونه شعرا أو كلاما شعبيا أو غير ذلك فيقوم بتحليله لكشف أنظمته العقلية وغير العقلية بتعقيداتها وتعارضها. فكل الخطابات داخلة في مجال النقد الثقافي . وهذا يبعد الانتقائية المتعالية التي تفصل بين النخبوي والشعبي وليس من الضروري استبعاد الدراسة الجمالية أو الدراسة الأدبية باعتبارها جزءاً من الثقافة وعلى هذا الأساس يمكن أن ندخل النقد الأدبي مع النقد الثقافي الذي بدوره يضم كماً من المعارف الإنسانية والفلسفة الأدبية ، ومن هنا فلا خوف على الأدب من هجر الخصوصية التي يمثلها في طريقة التعامل معه وبذلك تتم دراسة النص باعتباره أدباً واعتباره خطاباً ثقافياً.

خصائص النقد الثقافي:

للنقد الثقافي خصائص عديدة ومختلفة نذكر منها:

- **التكامل :** فالنقد الثقافي لا يرفض الأنواع الأخرى من النقد، و إنّما يرفض هيمنتها منفردة، أو هيمنة نوع منها منفردا،[2] وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الله الغذامي: «ليس القصد هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي، و إنّما الهدف هو تحويل الأداة النقدية من أداة قراءة الجمال الخالص وتبريره وتسويقه بغض النظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه، وهذا يقتضي إجراء تحويل في المنظومة المصطلحية».[3]

[1] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص 16-17.

[2] مصطفى الضبع :"أسئلة النقد الثقافي "ص 07

[3] عبد الله الغذامي:" النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية "، المركز الثقافي العربي ص 8.

- **التوسع :** يوسع من منظوره للنشاط الإنساني ، بحيث يصبح المجال منفتحا أمام أشكال متعددة من النشاط للدخول في نطاق البحث عبر مفهوم النقد الثقافي، وهو ما يعد محاولة للتخلص من الأفكار التي تكلست مع مرور الوقت، ليجعل الفكر الإنساني يتجاوز الوقوع في فخّ التشابه بفكرة كرة القدم التي تستأثر بكل الدعم الإعلامي والمادي والمعنوي، وهو ما يؤدي بها لفخ آخر تقبل عليه الجماهير طواعية، حيث توظفها الحكومات والأنظمة السياسية لتغييب وعي الشعوب وللفت انتباهها بعيدا عمّا يجب أن تنتبه إليه، كذلك الحال بالنسبة للغناء، حيث يستأثر بعض المطربين والمغنين بالكثير من الاهتمام على حساب أنشطة حياتية أخرى.[1]

أي أن النقد الثقافي لا يقتصر على دراسة ما هو مؤسساتي وجماهيري فقط، بل يمتد لدراسة حتى ما هو هامشي ومبتذل. صحيح أن الغناء و الطرب جميل «ولا شك أن السؤال عنه ضروري وجوهري، ولكن ماذا لو أنّ الجميل الذوقي تحوّل إلى عيب نسقي في تكوين الثقافة العامة في صياغة الشخصية الحضارية للأمة»[2]

- **الشمول:** إذا كان النقد الأدبي ضرورة لتطوير الأدب أو للكشف عن جوانب النظرية الأدبية من خلال النص الموصوف بالأدبية،أو للكشف عن قوانين جمالية جديدة من شأنها أن تساعد على تفسير النص، فإن النقد الثقافي يوسع من منظور النقد ليجعله شاملا لكل مناحي الحياة، مما يكسب النقد نفسه قيما جديدة ،لأن النشاط الإنساني كله في حاجة إلى النقد لتحقيق الأغراض نفسها التي يحققها النقد الأدبي) التطوير، الكف عن النظرية، الكشف عن القوانين إذ أنّ الحياة تتوقف عن تطوير نفسها وأن الإنسان لا يمكنه تجاوز قديمه إلى جديدة في غياب النقد ودون الاعتماد على آلياته التي تجعله قادرا على القبول والرفض لما تطرحه حركة الحياة، أو النظر إلى القديم بعين الناقد القادر على تجاوز المفاهيم القديمة لإنجاز الجديد القابل للتطوير.[3]
- **الضرورة:** إن النقد الثقافي بهذه الصورة أصبح ضرورة لابد منه، حيث يعد طرحا نحن في حاجة للنظر إليه متخلصين من نظرة التوجس من الجديد والتعامل معه بطريقة الفحص لقبول بعضه أو الأخذ منه بما يتناسب مع أفكارنا القديمة، وإنّه في حاجة لتطوير نظرتنا لحياتنا للوصول إلى منطقة يمكننا عبرها

[1] مصطفى الضبع: "أسئلة النقد الثقافي "ص 10

[2] عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف، "نقد ثقافي أم نقد أدبي"، مكتبة الأسد، دار الفكر، دمشق، ص19

[3] مصطفى الضبع: "أسئلة النقد الثقافي "ص 11.

أن نستفيد من الطرح الثقافي[1] فإذا لم نكن مقبلين على آلياته فإن ضرورة التطوير تتطلب منه إيجاد البد يل القادر على أن يتناسب أو يساهم في تطوير حياتنا أو جوانب منها أو التخلص من الأفكار القديمة.

- **الاكتشاف :** إذ يسعى النقد الثقافي إلى محاولة اكتشاف أو توجيه النظر لاكتشاف جماليات جديدة سواء في النصوص الأدبية نفسها، أو في الواقع بوصفه نصّا أشمل يطُرح علاماته، ويوجّه النظر لما تحمله من دلالات وتطرحه من أنظمة لها قيمتها في سياق الفكر الإنساني.[2]

[1] مصطفى الضبع: "أسئلة النقد الثقافي "ص 12.

[2] المرجع نفسه، ص 13

الفصل الأول

النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر

1. إشكالية المصطلح في النقد العربي

أ. مفهوم الثّقافة:

يتكون النقد الثقافي من شقين: ثقافة ونقد منسوب إليها؛ فتعددت مفاهيم الثقافة بين العلماء كل حسب رؤيته لها، من خلال الفكر الذي يبحث فيه، و قبل أن نورد آراءهم في هذا المصطلح (الثقافة)، سنتطرق أولا إلى التعريف اللغوي له.

جاء في لسان العرب «ثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا وثقف الشيء حذقه ورجل ثقف لقف أي بين الثقافة واللقافة ؛ والثقاف هو ما تسوى به الرماح ، وفى حديث عائشة تصف أباها أبا بكر "وأقام أودها بثقافة " أي أنه سوى عوج المسلمين»،[1] فالتثقيف والثقاف والثقافة : التقويم والتهذيب والتنقيح.

وعلى الرغم من أن مصطلح "الثقافة" لم يقترب من الساحتين الأدبية والنقدية في الدراسات العربية حتى وقت قريب، فإن الشعر العربي القديم وردت فيه مادة "ث ق ف" ببعض صيغها :

يقول عدى بن الرقاع العاملي (ت 95 هـ) وهو شاعر أموي [2] (الكامل)

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلُها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

والنابغة الشيبانى أيضا (ت 127 هـ) يقول: [3](البسيطُ)

قومت منها فلا زيغ ولا أود كما أقام قنا الخطى تثقيف

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دتح، مادة ثقف

[2] عدى بن الرقاع : ديوانه تحقيق الدكتور نورى حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن، المجمع العلمي العراقي، 1987، ص 88

[3] نابغة بنى شيبان ، ديوانه ،القسم الأدبي بدار الكتب المصرية. القاهرة 1932 . ص 65.

وقد أشار الجاحظ (ت 225 هـ) إلى ما كان يقوم به الشعراء من عناية بأشعارهم حتى تكتمل لها عناصر الجودة قائلا: « وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور بيتوه في صدورهم و قيدوه على أنفسهم فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير أبرزوه محككا منقحا، ومصفى من الأدناس مهذبا» .[1]

***تايلور**:الثقافة هي «ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة، و المعتقدات و الفنون و الأخلاقيات والقوانين و الأعراف والقدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضوا في المجتمع».[2]

***ت.س.اليوت** : «تختلف ارتباطات كلمة الثقافة بحسب ما نعنيه من نمو فرد،أو نمو فئة أو طبقة، أو نمو مجتمع بأسره .و جزء من دعواي أن ثقافة الفرد تتوقف على ثقافة فئة أو طبقة، و أن ثقافة الفئة أو الطبقة تتوقف على ثقافة المجتمع كله الذي تنتمي إليه تلك الفئة أو الطبقة، و بناء على ذلك فإن ثقافة المجتمع هي الأساسية» .[3]

***مالك بن نبي** :الثقافة هي «مجموعة من الصفات الخلقية، و القيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربطه سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط».[4]

***حسين الصديق**: الثقافة هي «مجموع المعطيات التي تميل إلى الظهور بشكل منظم فيما بينُها مشكلة مجموعة من الأنساق المعرفية الاجتماعية المتعددة، التي تنظم حياة الأفراد ضمن جماعة تشترك فيما بينُها

[1] الجاحظ:"البيان والتبيين " تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجى ،ج 2 ،القاهرة،ص 14.

[2] زيودينساردار، بورين فان لور:" الدراسات الثقافية"،ت وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 8

[3] ت.س.إليوت: ملاحظات نحو تعريف الثقافة"، ترجمة د شكري عياد ضمن كتاب دراسات في الأدب والثقافة المجلس الأعلى للثقافة،2000، ص 379

[4] مالك بن نبي، " مشكلة الثقافة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 2000 ، ص 74

في الزمان والمكان فالثقافة ما هي إلا التمثيل الفكري للمجتمع، والذي ينطلق منه العقل الإنساني في تطوير عمله وخلق إبداعاته».[1]

***محمد عبد المطلب:** الثقافة هي «الإضافة البشرية للطبيعة التي تحيط بها سواء أكانت إضافة خارجية في إعادة تشكيل الطبيعة، أم تعديل ما فيها، إلى آخر هذه الإضافات التي لا تكاد تتوقف،بل إن هذه الإضافة الخارجية تضمن قائمة العادات والتقاليد والمهارات والإبداعات داخلية، بمعنى أنها تتعلق بما هو غريزي وفطري و بيولوجي في الكائن البشري».[2]

من خلال عرض الآراء السابقة عن تصورات المفكرين العرب والغربيين لمفهوم الثقافة يمكن استنتاج ما يلي:

- الثقافة هي المعرفة، المعتقدات، الفنون، الأخلاقيات، القوانين، الأعراف، القدرات الأخرى والعادات والتقاليد الخاصة بمجموعة معينة من الناس.
- الثقافة داخل المجتمع هي حصن حصين و قوة فعالة و قانون القوانين لا يستطيع أحد المساس بها لأنها تشتمل على المعتقدات الدينية.
- لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تختلف بالطبع عن ثقافة المجتمعات الأخرى.
- قد يوجد في المجتمع الواحد ثقافات متعددة، قد تكون متجانسة وقد تكون متباينة.

[1] حسين الصديق: "الإنسان والسلطة"، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001، ص 17-18.

[2] محمد عبد المطلب: "النقد الأدبي" الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص 90

ب.مفهوم النّقد الثّقافي:

ظهر النّقد الثّقافي كنوع من الدّراسات النّقديّة التّي خلقت تطورا جديدا خاصة في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحالي، حيث خلق تصوّرا جديدا للنّقد الأدبي وبدأت معه بوادر الاهتمام بقضايا ثقافيّة كانت مهمّشة، وعمل على رد الاعتبار لها وإبراز وفتح لها المجال للبروز، ويعتبر النّقد الثّقافي نشاط وليس مجالا معرفيّا خاص بذاته، قد تتداخل فيه حقول معرفيّة مختلفة.

يقول الدكتور عبد الوهاب أبو هاشم «إن النقد الثقافي هو منهج سبقتا إليه الغرب (أمريكا وفرنسا) له أدواته للكشف عن المضمر النسقي في العمل الأدبي[1]»

ويرى كل من سعد البازغي و ميجان الرويلي أن «النقد الثقافي في دلالته العامة يمكن أن يكون مرادفا للنقد الحضاري كما مارسه طه حسين و العقاد و أدونيس، ومحمد عابد الجابري وعبد الله العروي، لذا فهما يعرّفان النقد الثقافي على أنه " نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه و تفكيره، و يعبّر عن مواقف إزاء تطوراتها و سماتها[2]»

ويبين لنا الدكتور " صلاح قنسوة" «أنّ النقد الثقافي ليس منهجا بين مناهج أخرى أو مذهبا أو نظرية كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصّصا بين فروع المعرفة و مجالاتها بل هو ممارسة أو فاعلية تتوفر على دراسة كل ما تفرزه الثقافة من نصوص سواء أكانت مادية أو فكرية، و يعني النص هنا كل ممارسة قولا أو فعلا تولّد معنى أو دلالة[3]»

[1] د .عبد الوهاب أبو هاشم" : مشروع النقد الثقافي" ، مقدمة في ملتقى الإبداع، اللقاء الخامس، اليوم الخامس 17 أفريل 2003

[2] ميجان الرويلي ، سعد البازعي" : دليل الناقد الأدبي " المركز الثقافي العربي ،ص 305

[3] صلاح قنسوة " :تمارين في النقد الثقافي" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة،2007،ص 11

ويرتكز النقد الثقافي على أنظمة الخطاب والإفصاح النصوصي كما هي عند بارت وفوكو ودريدا مثلا، وغيرهم من رواد الدراسات الثقافية،كما يولي النقد الثقافي أهمية بالغة لدور المؤسسة العلمية والثقافية كيفما كانت في توجيه الخطاب والقرّاء نحو نماذج وأنساق وتصوّرات يتأسس معها الذوق العام، وتتخلق بها الصياغة الذهنية والفنية وتصبح معيارا يحتذى أو يقُاس عليه.

و«النقد الثقافي هو صورة جديدة من العودة إلى ربط النص بمحيطه الثقافي ، والمتميز فيه أنّه ليس مدرسة محددة المعالم، بل يمكن أن يتبدل بتبديل شخصية الناقد وثقافته وتوجهاته، وطبيعة النص وقضاياه وتيماته.

كما أن النقد الثقافي مفتوح على التأويل وعلى مناهج السيميائيات وتحليل الخطاب ومختلف العلوم الإنسانية المحيطة بالأدب، بل إنه مرتبط بحركات فكرية و ثورية كالحركة النسوية، وحركة" الزنوجة" وصراع الحضارات والثقافات، وغير ذلك مما يقع في باب الخطاب المضمر في النص، والنسق الضمني المحرك له[1]».

ويرى الموسوي في كتابه " النظرية و النقد الثقافي " بأن النقد الثقافي فعالية تستعين بالنظريات والمفاهيم و النظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية من المساس به أو الخوض فيه ، و بما أنه فعالية لا فرعا من الفروع المعرفية، فإنه يتوخى بلوغ المعارف الأخرى عبر استخدام واسع للنظريات و المفاهيم التي تتيح القرب من فعل الثقافة في المجتمعات.[2]

[1] ينظر محمد عبيد الله:" النقد الثقافي و الدراسات الثقافية "، مجلة أفكار، العدد7، 2009

[2] محسن جاسم الموسوي:" النظرية و النقد الثقافي " ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص 12

وقد أورد الدكتور حفناوي بعلي في كتابه الموسوم بـ" مدخل في النقد الثقافي المقارن" بأن « النقد الثقافي نشاط و ليس مجالا معرفيا قائما في ذاته ، وهو لا يدور حول الفن و الأدب فحسب، و إنما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية والانثروبولوجية.[1]

أما الناقد العربي عبد الله الغذامي والذي أثار ولا زال يثير جدلا كبيرا في أوساط النقاد بين مؤيد و معارض له فقد عرف النقد الثقافي على انه« فرع من فروع النقد النصوصي العام، و من ثمّ فهو أحد لوم اللغة و حقول (الألسنية)، معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته و أنماطه و صيغه، ما هو غير رسمي و مؤسساتي و ما هو كذلك سواء بسواء، و هو لذا معني بكشف لا الجمالي كما هو شان النقد الأدبي ، و إنّما همّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي[2]».

وقد شبهه الغذامي بـ(علم العلل)عند أهل مصطلح الحديث، الذي يبحث في عيوب الخطاب ويكشف عن سقطات في المتن أو السند والنقد الثقافي عموما ينظر إلى النص الأدبي بوصفه حدثا ثقافيا بالدرجة الأولى بصرف النظر عن مستواه الجمالي الرفيع أو الوضيع.

[1] حفناوي بعلي: "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن "، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2007،ص 11

[2] محمد عبد الله الغذامي: " النقد الثقافي ، قراءة في الانساق الثقافية العربية "المركز الثقافي العربي ، بيروت،2005، ص 20

ج. النقد الثقافي في المشهد العربي:

«إذا فهمنا النقد الثقافي بمعناه العام، و ليس بالمعنى الذي اقترحه" ليتش"، واعتبرنا الثقافة بوصفها مرادفة للحضارة – كما يدعو إلى ذلك بعض المفكرين – فإنه يمكن التحدث الكثير عن النقد الذي قدمه الكتاب العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر بوصفه نقدا ثقافيا، أي بوصفه استكشافا لتكوين الثقافة العربية وتقويما لها يصدق ذلك على ما كتب في مجالات التاريخ والنقد الأدبي والاجتماعي والسياسة وغيرها مما يتماس مع الثقافة ويشكل نقدا لها».[1]

وقد كان الوعي بالمأزق الثقافي المعاصر هو المحور الذي تدور حوله معظم الدراسات الثقافية،و سنقوم الآن باستعراض نماذج من النقد الثقافي العربي:

***أولا: النقد الثقافي عند طه حسين:** ويشكل العمل الذي قدمه الدكتور طه حسين بعنوان «مستقبل الثقافة في مصر» أبرز الأعمال في المجال الأول الذي يتحدث عن الثقافة ومشكلاتها ويبدأ طه حسين ببيان الحاجة إلى بذل الجهد من أجل النهوض بالعلم والثقافة وأهمية الاعتزاز بثقافتنا، واستقلالنا ويتحدث طه حسين عن دوائر التأثر والتأثير بين الثقافة المصرية واليونانية، ثم الأوروبية، وتناول طه حسين مشاكل التعليم وقضاياه ومسألة اتصالنا بأوروبا وما يحوطها من مزاعم، وأهمية التعليم الأولى والتعليم العام بجميع مراحله، ومشاكله، وآلياته وأهمية الاقتناع بخطر التعليم وقدسيته، وعلاقة ذلك كله بأفكارنا عن أنظمة الحكم والدين والحضارة.

ويحاول طه حسين أن يقترح حلولا لما يراه من مشاكل تتعلق بالتعليم وعلاقته بالثقافة ، مشيرا إلى أهمية الثقافة بمعناها الواسع غير المحدد في المدارس والمعاهد، وأهمية نشرها بين طبقات الشعب، مبينا

[1] سعد البازعي ، ميجان الرويلي:" دليل الناقد الأدبي" ، ص 309.

أهمية التطلع إلى الثقافات الإنسانية حفاظا على ثقافة مصرية خالصة ، وتطلعا إلى ثقافات إنسانية أخرى تمتزج بها وتحقق نماءها وذكاءها.[1]

***ثانيا:النقد الثقافي عند مالك بن نبي:** «لحظ مالك بن نبي في أواسط القرن العشرين أزمة الحضارة الغربية، ووصولها إلى الطريق المسدود، وفقدانها مبررات وجودها، مثلما لاحظ حاجة هذه الحضارة برأيه إلى الإسلام لتقويم مسارها.غير أنه رأى أن المسلم المعاصر لا يمكنه أن يرفد الحضارة الغربية بشيء، لأن الماء المنخفض لا يستطيع أن يسقي الأرض العطشى إن هو لم يرتفع إلى أعلى مستواها فتلخصت أزمة المسلم عنده في أنّها أزمة حضارته، ورسم له دوره المنتظر في الثلث الأخير من القرن العشرين، محذرا من أن رياح الحضارة ستتحوّل عنه إذا لم يتدارك نقصه.

إن مالك بن نبي يبين بأن سبب الانحطاط في العالم الإسلامي لا يعود للاستعمار، بل إلى القابلية للاستعمار، وقد ركز بن نبي على هذا الجانب في أغلب مؤلفاته، وظل يؤكد على هذه القاعدة حتى وصل إلى نتيجة في أواخر حياته مفادها أنّ السبب في تأخر نهضة العالم الإسلامي يقع ضمن تخلف حضاري يتشكل عبر عاملين يسميهما عامل الاستعمار وعامل القابلية للاستعمار، ووزع بن نبي المسؤولية على هذين العاملين توزيعا منصفا، إذ قال "إن الدهاء والمكر والخداع والنهم والشراسة من نصيب الاستعمار، وأن الدناءة والسفالة والخبث والخيانة من نصيب القابلية للاستعمار" رأى بن نبي أن بناء حضارة «لا يمكن عن طريق تكديس منتجات حضارة أخرى، إذ أن هذا يؤدي إلى عملية مستحيلُة كما وكيفا»[2].

[1] ينظر: طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، مصر، ط 2 ، صفحات متفرقة.

[2] وجيه فانوس: "واقع الدراسات الثقافية العربية"، النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، 17-11-2007 ، ص 30.

«فلا يمكن لحضارة أن تبيع روحها و أفكارها، كما أنه لا يمكن شراء كل أشياء الحضارة، و لو تمّ ذلك جدلا، كما يتابع بن نبي ، فالناتج لن يكون سوى حضارة شيئية أو تكدس لمنتجاتها، لأن الحضارة إبداع وليست تقليدا أو استسلاما و تبعية[1]»

ثالثا:النقد الثقافي عند زكي نجيب محمود: لقد مارس الدكتور زكي نجيب محمود النقد الثقافي ونلمح ذلك في العديد من مؤلفات لعل من أهمها وأبرزها مؤلفيه" في تحديث الثقافة العربية "و" تجديد الفكر العربي الذي تناول فيه مشكلات حيأتنا الثقافية، وما يواجهنا من عقبات في سبيل تجديد تراثنا وثقافتنا والعوامل المعوقة على هذا الطريق، ثم يتناول العلاقة بين الثقافة والتراث وكيف نعيش ثقافتنا ؟ ويتحدث عن الصراع الثقافي ممثلا في المذاهب المختلفة ، وأطراف الحياة الفكرية والثقافية عند القدماء وغير ذلك من القضايا الفكرية والثقافية مع الاهتمام بضرورة التجديد بداية من اللغة وطرائق استخدامها وتحليل آليأتها وأفكارها، وتحديد ملامحها الثقافية، وملامح الثقافة العربية المعاصرة التي يجب أن تكون، واستلهام روح تراثنا الثقافي، ويتناول في فصل أخير قيمة العقل في تراثنا الثقافي ثم يتحدث عن الإنسان العربي في مواجهة ثقافته وثقافات عصره.[2]

رابعا: النقد الثقافي عند أنور عبد المالك: «كتب أنور عبد المالك في خاتمة كتابه " تغيير العالم " وتحت عنوان" أزمة العالم أم تغيير النظام العالمي " أن أزمة العالم ليست أزمة سياسية أو اقتصادية، بل أزمة حضارية، و فسر عبد المالك هذه الأزمة بأنها أزمة النمط الحضاري المهيمن منذ القرن الخامس عشر كما رأى أن هذا النمط الحضاري يسعى إلى توحيد العالم في إطار دائرته وحصاره المفروض ولخص عبد المالك إلى أن الحل الحقيقي لهذه الأزمة لا يكون إلا بالحوار الحضاري.

[1] وجيه فانوس، المرجع السابق، ص 30.

[2] ينظر :زكي نجيب محمود:" تجديد الفكر العربي "، دار الشروق، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، 2004، صفحات متفرقة

إن دائرة الحضارة العربية وفاقا لتعبير عبد المالك في كتابه" ريح الشرق"، هي ما يستطيع العرب بها تعبئة طاقاتهم و تجميع شملهم و توحيد صفوفهم،على تبا ين العناصر التكوينية للأمة العربية ،ويرى عبد المالك أن هذه التعبئة تتم في إطار إستراتيجية حضارية تسعى إلى تحريك نهضة الشرق الحضاري في اتجاه استقلالي و إنساني يسعى إلى العدالة و المساواة و بعث المعاني الروحية الكبرى، هذه الأمور التي لولاها لما كانت التنمية و لا التحديث، إلاّ أسلحة معكوسة تفتّت طاقات العرب، و تجعل منهم أدوات طيعة بين أيدي العدو الحضاري.

انطلاقا من مفهوم عبد المالك لدائرة" الحضارة العربية "فإنه أكد في كتابه" تغيير العالم" على الأهمية التاريخية للدورين الحضاري والنضالي للإسلام السياسي، فالإسلام عند "عبد المالك"، ليس دينا توحيديا فحسب، بل إنّه القاع الحضاري للأمة العربية و العالم الإسلامي[1]»

خامسا:النقد الثقافي عند ادوارد سعيد :طرح المفكر إدوارد سعيد في كتابه « العالم والنص والناقد» (1983)، مصطلح «النقد المدني» (Secular Criticisme) ، هذا النقد الذي يزاوج بين نقد المؤسسة ونقد الثقافة، ومسألة الخطاب النقدي ذاته، مع انفتاحه على المهمش وإقحامه في المتن، والتخلي عن كل الانتماءات والتحيزات التي قد تعرقل عمل الناقد المدني وتسيء إلى مقارباته، إلا أن هذا المصطلح لم يكتسب شهرة مثل ما اكتسبها نقده لخطاب الاستشراق رغم إصرار إدوارد سعيد على العودة إلى المفهوم في جل أعماله والتذكير به وبأهميته في التحليل والدراسات الثقافية، وبأهمية المصطلحات التي يقترحها في نقده الثقافي.[2]

ومن أبرز دراسات ادوارد سعيد التي تستحق الاهتمام في مجال النقد الثقافي" الاستشراق " فهي مزج مؤثر وخصب للبروتوكولات والمبادئ التي طورتها الحركة الثقافية الإنجليزية بالإضافة إلى منجزات

[1] وجيه فانوس: " النقد الثقافي و دراسات ما بعد الكولونيالية واقع الدراسات الثقافية العربية"، ص 32

[2] ينظر :الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، نقله إلى العربية وقدم له كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، 1997 ، ص 47

"جرامشى "و"فوكو" يفسر " إدوارد سعيد" التاريخ الطويل للكتابة الأنجلو أمريفرنسية عند الشرق الأدنى – باعتباره خطا تنظميا تهذيبيا لا يرتبط بالوصف والتصوير ، بقدر ارتباطه بالسيطرة على الشرق وتشكيله بأسلوب عرقي وجنس واستعماري. وتمتد الوثائق التي قام ادوارد سعيد بفحصها وتحليلها تحليلا دقيقا، من الكتب المدرسية، والمقالات السياسية والتقارير الصحفية، حتى كتب الرحلات، والنصوص الدينية والأعمال الأدبية.

إن الرؤية الإجماعية المسيطرة عن الشرق والتي أنتج وأعيد إنتاجها، عن طريق الاستشراق – المؤسسة الأيديولوجية الغربية لمعرفة الشرق – لا تقيم سوى علاقة ضئيلة بالتجربة الإنسانية الفعلية ، ذلك أن العبرة الخالصة ، والنتيجة البارزة التي يستخلصها سعيد هي أن الدراسة والمعرفة والتقويم والمداخلات التي هي أقنعة لتحقيق التوافقات والتسويات، إنما هي أدوات للغزو وآلات للسيطْرة ووسائل للهيمنة .

ويرى " سعيد " مثل كثير من نقاد الثقافة أن المعرفة مرتبطة بالسلطة والمصالح، وجميعها مخولة أو مقيدة بمؤسسات متشابكة، كما يربط سعيد سلسلة المعرفة/المصلحة/ السلطة بالدول المتصارعة على أساس قومي مبينا حدود فكر " أرنولد " السياسي.[1]

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن عمل "أرنولد وويليامز "يظل حيا في إبداع " إدوارد سعيد" من خلال رؤيته للأشياء على حقيقتها وفى احترام التجربة الإنسانية الفعلية وفي الذود عن الحق الأخلاقي والاجتماعي، وفي زيادة الوعي والتعاطف الإنساني وفي نبذ التعصب الديني بأشكاله المختلفة.

إن النقد بمفهومه المطلق أي نقد كل الأوضاع التي تؤرق المثقف هو أهم سمات النقد عند إدوارد سعيد، وهو يمارسه باعتباره الوسيلة الأهم لكشف زيف الواقع، و يهيئ الأرض للتغيير، وعلى الرغم من أن تميز " سعيد " جاء في حقل النقد الثقافي بتأسيس مذهب " النقد ما بعد الكولونيالي " فإنه تعدى

[1] عبد الفتاح العقيلي:" النقد الثقافي، قضايا و قراءات"، ص 45

حدود التصنيف في إطار حقل واحد بسبب تنوع ثقافته في الفكر والسياسة واللغة والتاريخ الأدبي والموسيقى فتباينت كتاباته وكانت دالة وفياضة في معناها تعبر عن النقد الثقافي.

يؤكد إدوارد سعيد في " العالم والنص والناقد " على مسؤوليات الناقد وأولها معارضة القوة المهيمنة للتشكيلات والتكتلات الثقافية القائمة حيث تكمن أهمية النقد الثقافي في رفضه مجاملة أي خطاب ثقافي.

يؤكد ادوارد سعيد أهمية النقد المتواصل مع الحياة وهمومها ، نابذا النقد الكهنوتي أو النقد الذي يهتم بالجوانب الجمالية، وكأنها منفصلة عما يجري في العالم، وفي كتابه الأخير " الأنسنة والنقد الديمقراطي " يؤكد سعيد أهمية العلوم الإنسانية ونشرها في المجتمع حتى تقوم بدورها في ربط المعرفة بالحياة، ذلك أن العزل بين النقد وبين ما يجري في الساحة الإنسانية أمر يجب أن يعاد النظر فيه دون التفريط بمفاهيم النقد ومعاييره.

«إن الأنسنية كما يقول ادوارد سعيد " مذهب نقدي يوجه سهامه إلى الأوضاع السائدة داخل الجامعة وخارجها ، مذهب يستمد قواه وقيمه من طابعه الديمقراطي المنفتح" ،إن هدف الأنسنية هو التمحيص النقدي للأشياء بما هي نتاج للعمل البشري وللطاقات البشرية على التحرر والتنوير ، وعلى القدر ذاته من الأهمية يقع التمحيص النقدي لسوء القراءة وسوء التأويل البشريين للماضي الجمعي كما للحاضر الجمعي».[1]

ليست الأنسنية مجرد وجهة نظر عن النص والناقد ، إنها الأرضية التي تأسس عليها كل التحليل الثقافي والنظري لسعيد . إن أنسنية الناقد تحدد علاقاته بالسلطة ، إن مسيرة سعيد متنوعة لكنها جميعا تستند على مبدأ التفكك بين معتقداته وما يفضله ، تناقض بين المنظر والفرد الاجتماعي، لكن هذه المفارقة أعظم تعزيز لأنسنيته.

[1] ادوارد سعيد:" الأنسنية والنقد الديمقراطي "، ترجمة فواز طرابلسى ، دار الآداب ، بيروت 2005 ، ص42

سادسا :النقد الثقافي عند برهان غليون : «يرى برهان غليون أن العولمة ظاهرة اجتماعية حية، ومثل كل ظاهرة اجتماعية، فإنها ظاهرة تاريخية تنمو وتتكامل وتتحول وفي هذا النمو والتكامل والتحول تكون العولمة -في نظر غليون -عملية حصول للتمايز والتعدد والانفصال والتناقض داخل الظاهرة عينها . وهكذا يستخلص غليون أنه من داخل العولمة الواحدة و المتسقة و العميقة الانسجام سوف تبرز أنماط إنتاج وأساليب حكم ومنظومات قيم متباينة ومتعددة فيما بينها، ويشير إلى أن الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية اللتين تتخذان من قيم العولمة المنادية بالتحرر الإنساني و الفردي مرجعا لهما

ومن جهة أخرى يذهب غليون إلى القول بأن العولمة تعمل في اتجاهين متناقضين، أولهما تعميم نماذج الديمقراطية الشكلية في جميع أنحاء العالم، إذ لا يمكن تطور العولمة– برأيه- من دون فتح الأسواق والنظم السياسية معا، وثانيهما تفاقم التفاوت في شروط المعيشة المادية والمعرفية بين الأفراد والجماعات معا، وبالتالي تراجع شروط تحول الديمقراطية الشكلية إلى ديمقراطية حقيقية، وتهديد الديمقراطيات النشيطة نفسها بالتدهور نحو ديمقراطيات شكلية ».[1]

[1] وجيه فانوس: "النقد الثقافي و دراسات ما بعد الكولونيالية واقع الدراسات الثقافية العربية"، ص34

2. الخطاب العربي المعاصر والقراءات النقدية الحديثة

إن الحديث عن الخطاب العربي المعاصر ومشكلاته للقراءات النقدية هو حديث عن تبني نقادنا العرب لتلك المناهج الغربية ومحاولة بلورتها وتطبيقها على الخطابات الأدبية العربية والحديث عن مساءلة المناهج الأدبية في هذه الخطابات أضحى أمرا ضروريا لا مفر منه تحتمه اللحظة التاريخية الراهنة التي بدأ فيها الإنسان العربي والأديب بوجه الخصوص يتحسس علاقته مع الآخر وخاصة تلك العلاقة مع الغرب فأضحى النقاد يتأثرون بتلك النظريات المعرفية المطبقة في الغرب ومحاولة تجسيدها في الخطاب الأدبي العربي وعليه، ما مدى تجلي القراءات النقدية في خطابنا العربي؟ وكيف تجلت؟

أ. القراءة السياقية في الخطاب العربي المعاصر :

أول ظهور للقراءة السياقية في خطابنا العربي كان مع تبني نقاد المشرق العربي للمنهج التاريخي الذي ظهر في الربع الأول من القرن العشرين عن طريق كوكبة من النقاد أمثال، طه حسين ومحمد منذور فالأول طبق ثلاثية هيبوليت تين على شعر أبي العلاء المعري والمتنبي والثاني قدم لنا كتاب بعنوان النقد المنهجي عند العرب الذي حاول فيه تحديد فترة تعامل الخطاب العربي المعاصر مع النقد المنهجي.[1]

وحاول نقادنا العرب من هذا الوصول إلى النتائج التالية:

- الربط الآلي بين المنهج التاريخي مع الخطاب الأدبي العربي سواء الشعري أو النثري.
- محاولة تطبيق تلك الآليات على النصوص الأدبية العربية من أجل تحديد ايجابيات وسلبيات هذا المنهج [2] ثم انتقل الخطاب العربي المعاصر للتعامل مع منهج آخر الذي لقي صدى كبير في

[1] يوسف وغليسي، النقد الجزائري من اللانسونية إلى الالسنية، إصدار رابطة الإبداع الثقافية، د،ط:2002 ، ص:21

[2] يوسف وغليسي مناهج النقد الأدبي الحديث جسور للنشر والتوزيع الجزائر ط الاولى2007 ص 20

أواسط القرن العشرين في أوروبا ألا وهو المنهج النفسي،فكانت بداياته الأول مع ما قدمه مصطفى سويف في رسالته المعنونة بـ: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر سنة 1948، ثم واصل صنيعه طلبته من مثل الدكتور شاكر عبد الحميد بكتاب تحت عنوان الأسس النفسية للإبداع الفني في القصة القصيرة،[1] ويمكن أن نذكر رواد هذا المنهج عباس محمود العقاد (1964-1989) محمد النويهي (1917-1980) إبراهيم المازيني وغيرهم الكثير حيث اهتموا بدراسة:

العلاقة النفسية بين العمل الإبداعي والمتلقي :

دراسة العمل الإبداعي من زاوية سيكولوجية وتعد سنة 1938 منعرج حاسم في تطور هذا المنهج في الخطاب العربي المعاصر لأنها السنة التي أوكلت فيها جامعة القاهرة للدكتورين أحمد أمين ومحمد خلف الله مهمة تدريس مادة جديدة لطلبة الدراسات العليا تتناول صلة علم النفس بالأدب[2] كما تجلى النقد الاجتماعي في الخطاب الأدبي العربي مع مجموعة من النقاد ذات التكوين الغربي أمثال محمد بنيس وشكري غالي وحسين مروة الذين طبقوا النظرية الماركسية ونظرية الانعكاس محاولين من وراء ذالك الوصول إلى:- قراءة الأدب قراءة اجتماعية -محاولة معرفة مدى صحة مقولة الأدب مرآة عاكسة للمجتمع - تطبيق هذا المنهج على الخطاب العربي المعاصر وكشف خبايا الاجتماعية فيه.[3]

[1] يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 23-24.

[2] المرجع نفسه ص 25.

[3] المرجع نفسه ص39.

ب.القراءة النسقية في الخطاب العربي المعاصر :

بعد اختفاء المناهج السياقية في أوروبا خاصة بعد ظهور علم اللسانيات على يد العالم اللغوي فرديناند ديسوسير بدأت تسطع تلك المناهج التي تتعامل مع الخطاب الأدبي بمعزل عن المؤثرات الخارجية،فكان لازما على الخطاب الأدبي أن يأخذ هو الآخر هذا المنحى وتجريب تلك المناهج النسقية على الخطابات الأدبية العربية وأول منهج تعامل معه نقادنا العرب هو المنهج البنيوي ويمكن عد بدايات السبعينيات من القرن الماضي فاتحة عهد الخطاب العربي المعاصر مع البنيوية، وربما كان كتاب الناقد التونسي حسين الواد، البنية القصصية في رسالة الغفران هو أول حصاد النقد البنوي في الوطن العربي.

ثم تلت تلك المحاولة جهود أخرى منها كتابي الدكتور كمال أبو ديب البنية الإيقاعية للشعر العربي 1974 وجدلية الخفاء والتجلي 1979 وكتاب صلاح فضل نظرية البنائية في النقد الأدبي 1978 وكتاب محمد بنيس ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب 1979[1] ثم كان ظهور المنهج الأسلوبي في مطلع ثمانينات القرن الماضي مع كوكبة النقاد أمثال نور الدين السد وصلاح فضل وشكري عياد ألا أن ما قدمه الناقد صلاح فضل يعتبر هو الرائد في هذه الدراسة بكتابه المعنون ب:الأسلوب والأسلوبية وكانوا يصبون من وراء هذا: -تطبيق آليات المنهج الأسلوبي على الخطابات الأدبية الشعرية خاصة - تتبع مواطن الجمال الأدبي من خلال آليات المنهج الأسلوبي[2] وتعامل الخطاب العربي المعاصر أيضا مع المنهج السيميائي ألا أنه وجد صعوبة في ترجمة المصطلحات وجد ما يفوق 32 مصطلح وهذا راجع إلى المرجعيات الفلسفية ونوعية الترجمة والتعريب فنجد عند عبد الملك مرتاض سيميولوجيا وعند

[1] يوسف وغليسي مناهج النقد الأدبي، ص 85.

[2] المرجع نفسه ص 85

عبد الحميد بورايو علم الدلائل وعند بسام بركة سيمياء ...الخ[1] وهكذا كان منوال الخطاب الأدبي العربي يتعامل مع كل منهج أوروبي دونما التدقيق فيه وأخذ ايجابياته فقط مما أدى بالخطاب العربي المعاصر إلى الوقوع في النمطية وأصبح النص الأدبي بمثابة تربة للتجريب فسقطت جمالياته وأدبيته الفنية.

3. رواد المنهج الثقافي في الوطن العربي

ادوارد سعيد: مفكر وناقد ومنظر ذو أصول فلسطينية (1935-2003) ويعتبر كتابه "الإستشراق" أحد نتائج هذه المنهجية الدراسية، فانطلاقا من تصورات الاستعمار والاستعمار الجديد الذين هيمنا على جزء كبير من أقاليم الكرة الأرضية انكب ادوارد سعيد على دراسة انعكاسات تلك التصورات الاستعمارية في الأفكار السياسية الغربية ، والأبحاث التاريخية،و أبحاث الآثار، وامتد تحليله إلى رحلات الاستكشاف والأدب الروائي والمسرحي، والفلسفة، وصولا إلى الثقافة الشعبية، ولقد فتح هذا الكتاب أفاقا جديدة في ميدان البحث وعلاقات البحث بين الغرب والمشرق العربي المعقد، وكانت نظرته متميزة بمعالجة دقيقة ومعايشة مهمة لروافد الثقافة العربية، وكانت له تحليلات مهمة للفن العربي و الشرقي .

محمد عابد الجابري : له دراسات تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية سنة 1985.

جبار عصفور: وذلك من خلال تناوله للكثير من القضايا النقدية التي تنشر في مجلة العربي الكويتية شهريا.

إدريس الخضراوي: وذلك من خلال كتابه "الأدب موضوعا للدراسات الثقافية"، الذي يحاول الاقتراب من مجموعة من القضايا الشائكة التي تدور أسئلتها المتعددة حول النقد ومفهومه، وما أنتجه ذلك من جدل في تاريخ المعرفة الأدبية، فضلا عن تاريخ الأفكار و تجلياتها المتعددة في نظرية الأدب

[1] المرجع نفسه ص 101

بشكل عام، وقد قدم الباحث في هذا الكتاب لنماذج من النقد الثقافي عند كبار مؤسسيه، وممارسيه في الزمن الثقافي المعاصر وقد جمع قضايا النقد في: الذات، الهوية، الآخر، المرأة، وقد حاول من خلال هذا العمل لمَ تشبعات وتداخلات أنساق ثقافية معاصرة لمرجعيات مختلفة، والفائدة تلمس في التعرف على لغة نقدية جديدة انتصرت لمفهوم نظري وإجرائي أخذ ينحدر في الممارسة الثقافية النقدية العربية المعاصرة، إنه مفهوم النقد الثقافي الذي لا يقتصر على النقد بل قد يمتد إلى الأدب الذي هو في جوهره نص ثقافي، يعكس كتابة متعددة الأنظمة والصيغ والأنساق.[1]

مالك بن نبي: الذي نشر كتابا في عام 1959 بعنوان مشكلة الثقافة تحت عنوان أشمل هو مشكلات الحضارة وقيمة كتاب مالك بن نبي تاريخية وتأسيسية في الوعي بمسألة الثقافة العربية .

زكي نجيب محفوظ: وله كتاب في هذا المجال يحمل عنوان "تحديث الثقافة العربية" .

وغيره هؤلاء من الرواد كثير، وتدل هذه العناوين بمفكريها، على وعي أصيل بالمسألة الثقافية، إلى جانب ما تتناوله من موضوعات لها علاقة بالثقة العربية، بجانب الكثير من الأعمال النقدية التي تناولت النصوص العربية.

عبد الله الغذامي : ويعتبر أكبر النقاد العرب الذين تبنوا منهج النقد الثقافي، بل ذهبوا إلى حد تطبيقه على الثقافة العربية، وكانت أول كتبه في مشروعه النقدي عبارة عن دراسة خصائص شعر حمزة شحاتة الألسنية، تحت اسم "الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية" كما أن له كتاب تحت إسم "حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية" الذي أثار جدلا واضحا حيث يؤرخ للحداثة الثقافية في السعودية، ويعد الغذامي من الأعلام البارزة في المشهد الثقافي العربي، وله عدة مؤلفات في النقد العربي، وقد أصدر أكثر من كتاب في شتى حقول المعرفة والنقد أبرزها: الخطيئة والتكفير، التفكير والتفكير، تشريح النص، الصوت الجديد القديم، الموقف من الحادثة، الكتابة ضد الكتابة، ثقافة

[1] صورية جغبوب، النقد الثقافي مفهومه وحدوده وأهم رواده، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة، العدد الأول ص35

الأسئلة، القصيدة والنص المضاد، المشاكلة والاختلاف، رحلة إلى جمهورية النظرية، المرأة واللغة، القارئ المختلف.

ويعتبر كتاب "النقد الثقافي في قراءة في الأنساق الثقافية العربية" كتابا مثيرا حتى اتسم بجرأة وشجاعة طرح فكرة النقد الثقافي طرحا جديا كما أصل لهذه الفكرة نظريا ومعرفيا.

إن كتاب النقد الثقافي دراسة في النظرية النقد الثقافي حيث جعل منه مدخلا لفهم العيوب النسقية في الشعر العربي بصفة الخطاب الأبرز للأمة العربية عبر تتبع منافذ هذه العيوب.[1]

[1] صورية جغبوب، المرجع السابق، ص 35.

الفصل الثاني

تجليات النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر

1. المرجعية الذاتية لعبد الله الغذامي وإدوارد سعيد:

أ. عبد الله الغذامي ومرجعية مشروعه الثقافي:

الناقد السعودي عبد الله الغذامي أحد أبرز النقاد العرب الذين أثبتوا وجودهم الفَعال في الساحة النقدية العربية، أسال حبرَ الكثير من الباحثين والنقاد من خلال كتاباته ومؤلفاته بالمستجدات من القضايا النقدية والفكرية والثقافية.

عبد الله الغذامي بتمسكه بتراثه العربي، وانفتاحه الفكري على الغرب أشبه بـ«نسيج متفرد للحوار بين الحضارات، فهو عالم تراثي ومعاصر في منهجه، أصيل وجرئ في مقارباته، يتسع صدره لكل ما هو جديد ولا يتنازل عن ذرة من ذرات مقومات حضارته العربية الإسلامية»[1]

ظهر الغذامي كناقد أدبي، في مرحلة التمخضات الكبرى التي عرفها النقد العربي الحديث مرحلة الثمانينيات من القرن العشرين؛ التي شهدت بداية انهيار نسق في التفكير النقدي وبداية ظهور نسق مختلف حددت ملامحه العامة التيارات النقدية الغربية، فهي فترة شهدت بداية انحسار كثير من الظواهر الفكرية والأدبية، وبداية ظهور أخرى جديدة انبثقت من الأشياء القديمة المتناقصة التي بدأت تتأزم وتُظهر عجزاً في تفسير موضوعاتها، لقد تفاعلت أسباب كثيرة أدت إلى هذه التمخضات التي كان من نتائجها حركة استبدال واسعة في كثير من المفاهيم الإيديولوجية والثقافية والأدبية وتبلوُر نوع من الاعتراف المتردِّد والخجول بالجديد في مجال النقد والفكر والثقافة عموما.[2]

لقد انجذب الغذامي للإنجازات النقدية الغربية، واستطاع بفضل قدراته الفكرية ووعيه أن يستغلّها في دراسة الأدب العربي قديمه وحديثه» ويعد التطبيق الذي أنجزه في هذه الفترة من أسبق المحاولات في هذا الاتجاه، وأشدها حرصًا على الأخذ بالمفاهيم، والمناهج النقدية الحديثة الأمر الذي كان له أثره العميق في توجيه فكر عدد

[1] إدريس بلمليح: الرؤية والمنهج لدى الغذامي، كتاب الرياض، ص 16

[2] عبد لله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافي، ص534

من الباحثين المتحمسين لاتجاهات النقد الغربي المعاصر وهو ما لا نستطيع إغفاله أو نكرانه، فالغذامي استطاع بحق أن يتجاوز كل التصورات و الأسس التقليدية.[1]

إن ما يميِّز عبد الله الغذامي هو الجرأة الفريدة التي يمتلكها في طرح آرائه وتعميقها بإصرار قلّما يمتلكه ناقد آخر، فمشروعه الثقافي يمثل جرأة في إعادة مواجهة كثير من أسئلة النقد المنعزل عن القضايا المصيرية الفكرية والأخلاقية والسياسية الغذامي يحاول أن يجد لنفسه موقعا مسؤولا في هذا العالم وفي هذه المرحلة المفصلية من وجود أمته بانتقالها من قرن إلى قرن، بعد أن ارتضى النقد العربي قبل عقدين من الزمن انكفاءته الآثمة مبتعدا عن قضايا الأمة العربية وإشكالياتها في العقود الماضية من خلال انزوائه في زوايا النصوصية الأكاديمية الجافة والمتحذلقة والمعزولة عما يحدث من حولها.[2]

يقول عبد الله الغذامي في مقدمة الدراسات التي قام بها حسين السماهيجي ومؤلفون آخرون «إن غياب الوعي النظري وتعمُّد تَغْيِيبه يورث ولا شكّ ثقافة سطحية كما يصنع آباء وَهْميين ويجعل الفعل الثقافي أشبه بأجروميات محفوظة، كما تحول عندنا علم اللغة وحتى المنطق، وصرنا كائنات تحفظ وتصدق المحفوظ، مما غيّب الوعي النقدي والوعي الابتكاري والتجاوزي، وكأننا في ثقافة الهزيمة لا ثقافة الحكمة».[3]

إنها فكرة جوهريّة تَقْبَعُ وراء إقامة الغذامي مشروع النقد الثقافي الرّامي إلى كشف العيوب النسقية، والتخلّص منها معتمدا على العقلانية إجراء ومنهجا ومتصورًا، وقد كان ذلك لأنه يمثل إعادة قراءة ليس لنصوص الثقافة إحصاء وجمعًا و تبويبا، ولكن للنماذج والأنساق التي صدرت عنها هذه النصوص وتولدت بها.[4]

والمؤكد أن الغذامي وصل إلى النقد الثقافي محمَّلاً بخلفيات نقدية ألسنية، لازَمَتْهُ في مراحله الأولى تنظيرًا وتطبيقًا، من بنيوية وسيميولوجية وتفكيكية أو تشريحية – على حد قوله – ساهمت من قريب أو بعيد في اكتمال

[1] سمير سعيد حجازي: مشكلة التفكير العلمي في دراسات الأدب المعاصر، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 2010 ص 119

[2] نادر كاظم: تعارضات النقد الثقافي أو رحلة النسق المتناسخ، دراسات (عبد الله الغذامي و الممارسة النقدية و الثقافية المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 12003 ص 102

[3] حسين السماهيجي وآخرون: دراسات (عبد الله الغذامي و الممارسة النقدية و الثقافية)، ص11

[4] منذر عياشي: النقد الثقافي بين العلم و المنهج قراءة في كتاب عبد الله الغذامي، المرجع نفسه ، ص92

المشروع الثقافي، وخاصة النقد التفكيكي الذي له تأثير واضح على النقد الثقافي والنسوي لأنه» شكَّك بمبدأ الإرث النظري للنقد الأدبي. وأكد أن المعنى في كل خطاب أدبي هو نتيجة العلاقة الخلافية بين الحضور والغياب، أو بين المعنى المتحقق و المعنى المرجأ وما دام المعنى في النص الأدبي غير ثابت، وغير نهائي، فيما يوضح دريدا في الكتابة والاختلاف فإن المجال يغدو مفتوحا لتجاوز كل المعايير والقوالب الجامدة واشتقاق معايير أخرى جديدة«وبالتالي فكل مؤلفاته هي بمثابة مرجعية ضمنية لنقده الثقافي على اختلاف في درجة تأثيرها».[1]

إن كتاب " الخطيئة والتكفير " الصادر سنة 1985 ، هو فاتحة مدوناته النقدية الألسنية، التي حملت بذرة النقد الثقافي في طياتها من خلال تناول الغذامي لأدب حمزة شحاته بمقاربة بعيدة »عن مقاربة ناقد أدبي يتصيّد الصور البلاغية أو يتعقّب مواطن الفتح اللغوي، والمجازي والإيقاعي وإنّما مقاربته مقاربة ناقد ثقافي يفجِّر متنًا ثقافيًا، ي ضمر أمراضا ثقافية، وقارئ ثقافي يحرق شحمًا ثقافيًا، يكرّس علاقات مختلفة بين الرجل و المرأة».[2]

وقد اهتم الغذامي بالسياق ورأى أنه لا يمكن قراءة النص وتفسيره بمعزل عنه لأن «إدراكه عملية ضرورية ليذوق النص وتفسيره ، وهذه هي معرفة (الجنس الأدبي)، للنص وكل عمل أدبي تختلفُ قيمته بناء على جنسه وسياقه «وهذا ما يؤكد عليه النقد الثقافي ».[3]

وكتاب "الكتابة ضد الكتابة" الصادر سنة 1991 ، يحمل إشارة واضحة لفكرة النسق المضمر حيث يقول: »وما الأمثلة إلا علامة على ما في اللاشعور الجمعي من أحاسيس مطمورة، وترديد المثل على الألسنة دليل على هذه الرغبة التي تخجل من الظهور المعلن، ولكنها تتسلل عبر الكلمات لتفضي بمكنونها».[4]

وفي كتاب " ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد و النظرية " الصادر سنة 1992 ، يخطو الغذامي خطوة واضحة نحو النقد الثقافي، خاصة بتحليله لقصيدة محمود درويش (عابرون في كلام عابر) حيث يقول: «لقد جاءت هذه المقالات استجابة لأسئلة تتوارد علّي منذ صار مشروعي الثقافي مرتبطا بمنهجية نقدية واضحة المعالم، وتقوم هذه المنهجية على(النقد الألسني) أو(النصوصية) معتمدا بذلك على ما يعرف بنقد ما بعد البنيوية، وهو –

[1] إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ، ص136.

[2] إدريس جبري: الإمكانات و العوائق في المشاكلة والاختلاف، كتاب الرياض، ص 34

[3] عبد الله الغذامي: الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية للكتاب 1998، ص 13

[4] عبد الله الغذامي: الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب، بيروت، 1991، ص 21

عندي – نقد يأخذ من البنيوية ومن السيميولوجية ومن التشريحية منظومة من المفهومات النظرية والإجرائية تدخل كلها تحت مظلة الوعي اللغوي بشروط النص تجلياته التكوينية والدلالية».[1]وفي هذا تصريح بأساسية امتلاك زاد معرفي ألّسني للتمكُّن من الشُّروع في النقد الثقافي.

إن مدونة "رحلة إلى جمهورية النظرية، مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي " الصادرة سنة 1994 تبُرِزُ نقلةً في نوعية الممارسة النقدية، فالغذامي «لا يعمَدُ هذه المرة إلى تحليل النصوص الإبداعية، وإنما يستنطق الحضارة الأمريكية على أساس حضارة القوة المسيطرة والغرب الذي يبني نموذج النظام العالمي الجديد».[2]

وبهذا تتوسع آفاق النقد عند الغذامي بتجاوزها حدود الأدبية والاقتصار على الاهتمام بالنص إلى مساءلة الخطابات والثقافات والحضارات. وهذا ما فعله مع أمريكا التي هي حسبه »كتاب مفتوح قابل للفهم ولسوء الفهم، مثل أي نص إبداعي ينطوي على المجاز و على الضمني والمضمر، وما أكثرهم أولئك اللذين حاولوا قراءة هذا النص الأمريكي العجيب وكم وثقوا بصدق تصوراتهم وصحة تأويلاتهم منذ قراءة ماوتسي تونج المشهورة ونبوءته بتحطيم العملاق من الداخل، ولكن العملاق لم يزل يزداد عملقة وجبروتا إنه مثل كتاب مسموم يقتل قارئه ولا يموت هو».[3]

وكتاب "المشاكلة والاختلاف، قراءة في النظرية العربية وبحث في الشبيه المختلف" الصادر سنة 1994 ، قائم أساسا _ كما هو واضح في العنوان _ على ثنائية المشاكلة والاختلاف، والمشاكلة هي: «تفاعل المعنى بالشكل، لكن دون دلالة، وبالتالي يستحيل إنتاج الأدب أو إبداع مختلف مما يكرِّس قيما ثقافية وأدبية محافظة ومستهلكة ومغلوقة، أما الاختلاف فتفاعل المعنى بالشكل وبالدلالة،...، فكلما كانت المسافة الجمالية، مخالفة لتوقع المتلقي، كلما تحقق نص الاختلاف كلما تضاءلت هذه المسافة الجمالية، تراجعت أدبية الأدب، وتشاكل النص مع الواقع وعمود الشعر التقليدي، علامات الذكورة والفحولة».[4]

[1] عبد الله الغذامي: ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، دار سعادة الصباح، الكويت 1993 ص 10-9

[2] إدريس بالمليح: الرؤية و المنهج لدى الغذامي، ص28

[3] عبد الله الغذامي: رحلة إلى جمهورية النظرية، مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1998 ص 19

[4] إدريس جبري: الإمكانات والعوائق في المشاكلة والاختلاف، ص45

ويُبين الغذامي في كتابه هذا حقيقة أن الإبداع لا يمكن أن يتأسس على المطابقة والمشاكلة ، ولو شاكل النص واقعه الخارجي تتحوَّلُ إلى وثيقة وصفيَّة وصار خطابا عِلْمِياً أو تاريخياً ، ليست المعضلة هنا لدى المبدعين ولكنها فحسب لدى المفكرين والنقاد؛ فتأثيرهم قد أفسد النشاط القرائي وأثر على علاقة القارئ مع النص، وحدث ظلم كبير ضد التجديد والتحديث بسبب ترسب تصورات المشاكلة وغلبتها على الذهن الثقافي إنها دعوة للقيام بنقد ثقافي تعتمد التفسير والتأويل الجاد لاستنطاق دلالات النصوص.[1]

والحقيقة إن الكتاب الذي حمل اسم هذا المشروع واشتمل على التنظير والتطبيق الواعيين هو كتاب"النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية " الصادر سنة 2000 ، على الرغم من أن ممارسة الغذامي للنقد الثقافي سبقت هذا الكتاب من خلال: " المرأة واللغة" 1996 و"ثقافة الوهم"1998و"تأنيث القصيدة والقارئ المختلف" 1999 ، على أنه اقتصر فيها على الممارسة التطبيقية ولم يَسْعَ إلى التنظير قبلاً _ كعادته _ بل أجَّلَهُ، ليُخَصِّصَ له فصلا في كتابه "النقد الثقافي" اصطلح عليه "الذاكرة الاصطلاحية" وهي المرجعية الغربية المباشرة لمشروعه ، افتتحها بذكر النقلات النوعية في مجال النقد من ريتشاردز إلى رولان بارت إلى ميشال فوكو وإسهامه الكبير في تغيير النظرة السطحية إلى الخطاب المتضمن بالضرورة للأنساق الثقافية المضمرة، ثم يصل إلى جوناثان كولر إلى Jonathanculler والدراسات الثقافية، الذي لاحظ أن أساتذة الأدب ينصرفون عن دراسة ملتون Miltonإلى دراسة مادونا، وعن دراسة شكسبير إلى دراسة الدراما التلفزيونية وبذلك كسرت مركزية النص . وتحدث عن كلنر killner ونقد الثقافة، والذي استفاد من مدرسة بيرمنجهام ومدرسة فرانكفورت في الدراسات الثقافية، والتعددية الثقافية والنقد النسوي ليطرح مفهومه عن نقد ثقافة الوسائل (Media culture) الذي يتمحور حول تد خل الوسائل في تشكيل أفعال الاستقبال أي ، في تصنيع التلقي.[2]

ووقف عند بودريار Baudrillard والرواية التكنولوجية، بطرحه لمفهوم"الحقيقة التكنولوجية" وعلاقتها بالخطاب الإعلامي، ثم تحدث عن ماري روزينوM.Rosenan وأشار إلى عرضها لحالة الانكسار المعرفي الذي تسبب في التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، وذلك بسبب ظهور العلوم الحديثة _ تجريبية أم اجتماعية _ بمظهر العاجز عن إحداث النتائج الدراماتيكية التي ظل العلماء المحدثون يَعِدُون بها، وإخفاق العلم الحديث في

[1] عبد الله الغذامي: المشاكلة والاختلاف قراءة في النظرية النقدية العربية و بحث في الشبيه المختلف، المركز القافي العربي بيروت 1994 ص 7

[2] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 21-22

حل المعضلات العويصة التي ظهرت في القرن العشرين والاهتمام الضئيل بالأبعاد الثقافية بطرح قضية الثقافة بوصفها ذات تكوينات متعددة كالنسوية والسود، و العناصر البشرية الأخرى التي ليست بيضاء وليست ذكورية، ولم تكن في التيار المؤسساتي الرسمي،[1] كما ركَّز الغذامي على فنست ليتش الذي طرح مفهوم النقد الثقافي »في كتابه "النقد الثقافي النظرية الأدبية، ما بعد البنيوية " والمعروف عن ليتش أنه _ شأنه شأن كوكبة من النقاد الأنجلو ساكسونيين الذين يُدمجون بين فروع العلوم الانسانية في تحليلاتهم قام في هذا الكتاب وغيره من قبل بعرض جدالي لاتجاهات الفكر الغربي المعاصر في المجالات النقدية والفلسفية والمنهجية. وكما ذهب الغذامي فإن ليتش أكد بأن "النقد الثقافي" تضمن تغييراً في منهج التحليل يقوم على دمج المعطيات النظرية والمنهجية في مجال علم الاجتماع والتاريخ، والسياسة وغير ذلك دون أن يهمل منهج التحليل النقدي الأدبي.[2]

وتحدث عن ستيفن قرين بلات والتاريخانية الجديدة، الذي أطلق هذا المصطلح ليصف مشروعه في نقد خطاب النهضة، خاصة الانجليزي أو الشكسبيري، حيث يسعى للكشف عن الأساليب التي تتشكّل القناعات والخبرات الجماعية، ثم تحدث عن فيسر وتحديد الافتراضات التي تجمع بين التاريخيين الجدد مع كل ما بينهم من تباينات واختلافات.

وختم الغذامي ذاكرته الاصطلاحية الغربية لمشروعه الثقافي بالفلسطيني إدوارد سعيد تحت عنوان "الناقد المدني"، حيث عرض لمدلول المصطلح الذي يضع الناقد على حد الشفرة بين النظام المؤسساتي الذي يدير عمل الناقد وبين الثقافة التي تتحدى فعل النقد في حيويتها كحدث غير ممنهج، وذكر أيضا مصطلح دنيوية وواقعية النص، وكذا استفادة إدوارد سعيد من الظاهرية، ثم تحدث عن شخصية إدوارد الخاصة ومرضه وجعلهما منسجمان مع فكره النقدي .

ب. إدوارد سعيد ومرجعية مشروعه الثقافي:

الناقد الفلسطيني إدوارد سعيد ظاهرة فريدة من نوعها، تخطى كل الحواجز يبدع في مجالات شتى فهو الناقد الفذ، والموسيقي المتمكن، والمدرس والمحاضر المميز، والمفكر العظيم، إنه كما يقول كمال أبو ديب «عظيم في اللغة الجليلة التي بها يكسب إدوارد سعيد، وفي قوة فكره، والشبوب العاطفي الذي يتوهج من جمله وعبارته،

[1] حامد أبو أحمد: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية للدكتور عبد الله الغذامي، كتاب الرياض، ص 92

[2] عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية، ص537

متجاوز حدود الجامعية الجامدة، لكن محتفظا بصرامتها المعرفية وشروط تكوينها، وهو عظيم أيضا في تأويلاته الجديدة ونظرياته المتعلقة بالعالم وحركة المجتمعات الإنسانية، وحركة التاريخ، والثقافة، والأدب، والروائي منه خاصة».[1]

لقد حفر اسمه في ذاكرة العالم، واصطنع هالة عربية تاريخية لم يزدها معاودوه إلا إشعاعاً وتألقا فبقدر ما أثار من الإعجاب والانبهار بأفكاره الجريئة وثقافته الموسوعية، أثار الكثير من السخط والرفض؛ لأنه استنطق الصمت متعرضا بالدراسة لمناطق وعرة ظلت محمية لسنوات طوال من قبل السلطة، ما جعله يتعرض لتهديدات كثيرة واجهها بشجاعة جعلته يواصل مسيرته الفكرة، إذ يقول في قضية تمديده «لا أفكر في الأمر كثيرا، إذا تابعت التفكير في أي مشكلة من ذلك النوع فإن الأسوأ يكون قد حصل عن طريق جعلك عاجزا عن العمل، إنه لأصعب على أولئك الناس مما هو عليك، أعتقد أن الأمر الأساسي هو أن تستمر في طريقك وتذكر أن ما تفعله وتقوله يعني أكثر بكثير من مسألة كونك آمنا أم لا».[2]

تتجاوز أهمية إدوارد سعيد الثقافية والفكرية الإعلام والسياسة إلى حقول معرفية عديدة من ضمنها الدراسات الأنثروبولوجية، وتاريخ الفن ودراسات خطاب ما بعد الاستعمار، والنظرية الثقافية التي كان إدوارد سعيد من أبرز المنظرين والباحثين الذين حولوا مسارها خلال الربع الأخير من القرن العشرين، من خلال كتبه ومقالاته ودراساته التي تراوحت موضوعاتها بين النقد الأدبي والسياسة ونقد الموسيقى ودراسة ما يسمى في حقل الفلسفة المعاصرة تحليل أنظمة الحكم.[3]

لقد تميز بغزارة إنتاجه وخصوبة فكره، ألف العديد من الكتب الغيمة في مجالات الثقافة والفن والنقد والسياسة، إضافة إلى الكثير من المقالات والحوارات والمقابلات التلفزيونية، فمكتبة إدوارد سعيد «غنية غناء يستوجب قراءة فكره وتمديد رؤاه الراشدة في ساحة الفكر النقدي، وعولمة الخطاب الثقافي التي ظل ينشدها في أسلوب علمي متزن يجمع بين لباقة الجدل مع الآخر والمنافحة عن الذات ولا يخف على أحد براعته ونبوغه في

[1] إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 13.
[2] ادوارد سعيد: القلم والسيف، تر توفيق الأسدي، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1998 ص 9
[3] فخري صالح: ادوارد سعيد، دراسات وترجمات، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2009، ص 15

حقل النقد الأدبي المقارن، حتى أضحى واحدا من رواده في جامعة كولومبيا، كما لا ننس فضله وأثره البليغ من خلال إضافته وإسهاماته الجديرة بالاهتمام في ميدان النقد الثقافي العالمي والدراسات الحضارية».[1]

والحقيقة إنه كان ولا يزال شخصية مثيرة للجدل، مدعاة للتعمق في البحث والدراسة، ولقد استطاع أن يشغل العالم منذ بداياته الأولى في السبعينيات، وحتى بعد مماته لدرجة قامت فيها «جامعة كولومبيا بجمع ما تركه إدوارد سعيد بعد رحيله من كتب وأوراق ومخطوطات وتخصيص مركز بحثي يكون مزار للباحثين لاستكمال المهمة الفكرية التي نذر إدوارد سعيد نفسه عليها طيلة وجوده في الجامعة، إذ إنه أصبح تراثا.[2]

ظهرت ملامح توجهه الثقافي من كتابه الأول جوزيف كونراد رواية السيرة الذاتية 1966 متوجها بذلك مباشرة إلى الأعمال المتداولة لمعاناة المنفى وقضايا الغرباء والمهمشين والمستعمرين والمجتمعات العرقية، ودسائس الإمبريالية، وأيضا كتابه الثاني "بدايات: القصد والمنهج 1975" كان ممهدا لمشروعه الثقافي. يقول عنهما إدوارد سعيد: « كانا هامين بمعنى تجريب الصواب والخطأ، لقد كنت بطريقة ما أحاول العثور على أرض مشتركة بين المشكلات الأعمق في التجربة المعاشة...، مشكلة الهوية، غياب الهوية، انخلاع الهوية المنكسرة، ومشكلة اللغة، والاستمرار».[3] وقد دخل بعدهما مباشرة مجال النقد الثقافي في كتبه "الاستشراق 1978''، و''تغطية الإسلام 1981 "،و"العلم والنص والناقد 1984"، و"الثقافة والإمبريالية 1993."

وقد تضافرت العديد من العوامل والتأثيرات الشخصية والفردية والجماعية مشكلة مرجعية المفكر العربي العالمي إدوارد سعيد لمشروعه النقدي، بدأت من الشتات الذي عاشه منذ صغره، من ذكريات وواقع المنفى الذي شكل شخصياته، ومن الخسائر المستمر لفلسطين وكذلك القاهرة يقول: «حمل العام 1967 المزيد من التفكك وقد بدا لي أنه يجسد بامتياز التفكك الذي يختزل سائر الخسائر الأخرى: العوامل المتوازية لنشأتي وصباي، سنوات دراستي غير المسيسة، والدراسة والعلم المتحررين افتراضا في جامعة كولمبيا، وسواها لم أعد الإنسان ذاته بعد العام 1967. فقد دفعتني صدمة الحرب إلى نقطة البداية، إلى الصرع على فلسطين. فدخلت من ثم إلى المشهد الشرق

[1] محمد الأمين خلادي: المفكر ادوارد سعيد وبصمة الفرادة في خطاب النقد الثقافي، مجلة العلوم الاجتماعية، ع 09، 2009 ص 29

[2] محمد شاهين: قمة عربية شامخة خارج المكان، مجلة العربي، ع 655 ، 2013، الكويت، ص 112.

[3] ادوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق، تر صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996، ص139

أوسطي المتحول حديثا بوصفي جزء من الحركة الوطنية الفلسطينية التي انبثقت في عمان ومنها انتقلت إلى بيروت في أواخر الستينيات وعلى امتداد السبعينيات كانت تلك تجربة تغذت من ذلك الجانب المضطرب والمحتجب من حياتي السابقة وأعني نزعتي المعادية للسلطوية وحاجتي في كسر الصمت المفروض قسرا، والأهم من ذلك حاجتي إلى الانكفاء إلى حالة أصلية ترفض أي شكل من أشكال المصالحة وتروم تدمير النظام الظالم القائم».[1]

وأثرت طبيعة حياته وتنقلاته وعيشه بعيدا عن وطنه في أفكاره المتعلقة بضرورة التحرر من التبعية المتعصبة للمكان (الوطن) ولأي تطرف، وهي الفكرة التي جعلت منه ناقدا ثقافيا متميزا فتشتته لم يعقه بل صنع قوته وتقدمه يقول: «إنني لا أنظر إلى نفسي باعتباري شخصاً مفردا ومتساوقا، بل إنني كثرة من الأشياء المختلفة منضمة معاً، ولست أحاول الموازنة بينها، وأنا لا أرى نفسي شخصاً يحاول أن يصلح ما فيه من الاختلافات، وإنما أحاول أن أعيش في التفارقات».[2]

ولعه لا وجود لشخص عارف بمرجعية إدوارد سعيد والتأثيرات المشكلة لفكره ونبوغه أكثر من شقيقته جين مقدسي التي ترى أنه « يوجد نمطان من التأثير في تفكير إدوارد سعيد: يتمثل الأول في تعليمه الأكاديمي في اللغة الانجليزية والأدب الغربي والموسيقى، والذي تحصل عليه في المدارس التي ارتادها في مصر وفلسطين والولايات المتحدة، ويتمثل الثاني في تجربته المباشرة في السياسة والتاريخ فقد عاش فترة التاريخ المعاصر للعالم العربي بكل درجاته ومشكلاته الامبريالية بالرغم من معاصرته أيضا لنمط الحياة بشكل معيشي في أمريكا وأوروبا وكانت معرفته المباشرة بكل من هذين العالمين المختلفين سببا في فهمه لتعقيدات التاريخ والسياسة كما ساعدته على التفكير عبر هذه التعقيدات فقد آمن إدوارد سعيد بأن الأدب لا يمكن قراءته أو فهمه بمعزل عن العالم الفعلي، بل باعتباره مظهر له، وقد آمن أيضا بأن كل قارئ وكاتب يقوم بإحضار تجربته الخاصة مع العالم الحقيقي إلى الأدب»[3]

ولا أحد ينكر تأثير الدين على فكر الإنسان باختلاف نسبية هذا التأثير وإدوارد سعيد مفكر علماني، وعلمانيته تعني أن الأمور الدينية حسب مفهومها الواسع، مهمة لرؤيته للأشياء فهي ذات أهمية لتصوره، وفهمه

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، مذكرات، تر فواز طرابلسى، دار الآداب، بيروت، ط1، 2000 ، ص 356

[2] ادوارد سعيد: الثقافة والمقاومة، تر علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، بيروت، ط1، 2007، ص 169

[3] جهاد فاضل: حوار مع شقيقة المفكر ادوارد سعيد، تر أمير الغندور، مجلة العربي، ع 655 ، ص 116

للنقد الثقافي، ولصورة الناقد العلماني لديه، فالنقد العلماني كما يراه ويفهمه إدوارد سعيد هو الآخر بالنسبة للنقد الديني.[1]

والموسيقى لعبت دور في فكر إدوارد سعيد النقدي الثقافي، فقد كان ناقداً موسيقيا له أفكار ورؤاه الخاصة، بعد أن تأثر بشخصيات عديدة أبرزها الناقد والموسيقي الألماني ثيودور أدورنو الذي ربط بين المجتمع والموسيقى، إلا أن إدوارد سعيد مضى أبعد منه حيث «ينفذ إلى عمق هذه العلاقة ليرى الأعمال الفنية التي وضعت في فترة محددة من تطور المجتمعات البرجوازية الأوروبية ليس بوصفها مرآه للتطور الاجتماعي فقط بل بوصفها جزء من تلك الثقافة وتعبيرا عن تطلعات استعلائية عنصرية أو استعمارية وإن تكن غير واعية أو مقصودة فهي تمكن في نقطة عميقة في ثنايا العمل الفني».[2] وهذا بالضبط ما يقوم عليه النقد الثقافي، وما تجسد فعليا في كتب إدوارد سعيد، ولاسيما كتابه الاستشراق كما أخذ إدوارد سعيد من الموسيقى أهم وسائله الإجرائية وهي القراءة الطباقية.

والناقد الثقافي إدوارد سعيد هو محاضر وأكاديمي قبل كل شيء، وبالتالي فإنه على دراية كبيرة بالنظرية الأدبية الحديثة وبكل التطورات في مجال النقد التي أثرت في مشروعه الثقافي بالضرورة التي تقتضيها طبيعة المعرفة التراكمية، وهذا ما يؤكده صبري حافظ في أفقه النقدي؛ الذي يذهب إلى أن إسهام النظرية الأدبية الحديثة «قد استخدم كأساس في عملية الكشف عن مدى انتهاك حقوق الآخر المغاير في بنية الثقافة الغربية دائما وما كتاب إدوارد سعيد الهام عن الاستشراق والذي استخدم فيه استراتجيات القراءة التي طورتها النظرية الأدبية الحديثة للكشف عن مدى انتهاك حقوق الآخر المغاير في واحدة من الخطابات التخصصية للثقافة الغربية، وهو الخطاب الاستشراقي، إلا حالة من الحالات المتعددة التي غيرت فيها النقلة النظرية الحديثة لا طبيعة الخطاب وحدها، وإنما علاقات القوى المتضمنة فيه».[3]

[1] ولبيام دهارت: ادوارد سعيد والمؤثرات الدينية للثقافة، تر قصي أنور الذبيان، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1 2011، ص 27 .

[2] صلاح حزين: إدوارد سعيد موسيقيا، مجلة الكرمل، ع 85 ، 2005، فلسطين، ص 202

[3] صبري حافظ: أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996 ص 36

ومن أبرز الشخصيات المؤثرة في إدوارد سعيد وطريقة تعامله مع المعرفة ميشيل فوكو الذي استطاع أن يتوصل من خلال حفرياته إلى الحقيقة القابعة في أعماق النسق المعرفي الغربي بتجلياته المتعددة، وهو نسق مهيمن، مؤسساتي متواطئ، قصدي يظهر ما يود إظهاره فقط: عقلانية، تنوير إنسانية. أما المناطق المظلمة: قهر، مرض، جنون، اضطهاد، سجن فإنما محرمات لا ينبغي الاقتراب منها فمهمة فوكو كانت محاولة الغوص في هذه المنطق من خلال المعاينة، الواقعية والأرشيفية، لأن مستقبل الفلسفة في نظره يمكن في تفتحها على العالم الخارجي، كشف الأوضاع الإنسانية التي عاشها الإنسان وأثرت في مجرى حياته بشكل أو بآخر.[1]

إن فوكو حاضر في كل كتابات إدوارد سعيد، سواء كان ذلك صريحا أم ضمنيا؛ حيث أمده باستراتيجية التعامل مع الخطاب من خلال التخلي عن «فكرتين متلازمتين إلا أنهما متعارضتان أولاهما ترى استحالة الوقوف داخل نظام الخطاب على انفصال حقيقي، من جراء الاقتحام المباغت لحدث جديد وأن وراء كل بداية مظهرية، يكمن دائما وباستمرار، أصل خفي، بلغ من الخفاء والعمق، حدا يصعب معه علينا تملكه وإحكام القبضة عليه،...، وترتبط هذه الفكرة بفكرة أخرى ترى أن كل خطاب ظاهر، ينطلق سرا وخفية من شيء ما تم قوله وهذا لما سبق قوله، ليس مجرد جملة بم التلفظ بها، أو مجرد نص سبقت كتابته، بل هو شيء لم يقل أبدا إنه خطاب بلا نص وصوت هامس همس النسمة كتبه ليس سوى باطن نفسها،...، أما الفكرة الثانية، فتحكم عليه أن يغدو تأويلا آو إنصاتا لما قيل من قبل والذي في نفس الوقت لم يقل أبدا وهذا ما يحتم ضرورة التخلي عن هاتين الفكرتين اللتين ليس لهما من وظيفة أخرى سوى تكريس الاتصال اللامتناهي للخطاب وضمان حضوره الخفي داخل غياب يعاد استحضار باستمرار»[2] وهذا ما قام به إدوارد سعيد في كتبه وخاصة في بدايته مع الاستشراق الذي أفرز مساهمة فعالة في نشوء النظرية الما بعد كولونالية.

يقول إدوارد سعيد عن سبب استفادته من فوكو تشوميسكي وغرامشي «كنت أبحث عن طريقة لعمل ذلك بصورة فعالة وبلاغية، لأنظم ذلك الجسم الهائل من المعلومات الذي جمعته خلال ما يقارب العشرين عاما من القراءة في الموضوع».[3] كذلك استفاد من أفكار رايموند ويليامز في كثير من كتاباته وهو يصرح بذلك في

[1] عمر مهيبل: من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2007، ص 47

[2] ميشال فوكو: حفريات المعرفة، تر سالم يفوت، المركز الثقافي العربي،، بيروت، ط2، 1987. ص 25

[3] فخري صالح: ادوارد سعيد دراسة وترجمات، ص 197

حوارات كتب منها كتابه الثقافة والإمبريالية وكذا كتاب رايموند ويليامز نفسه طرائق الحداثة وفيه يقول: «فعملي منذ الاستشراق اعتمد إلى حد كبير على عمل رايموند».[1]

كما تأثر بالناقد إيريك أورباخ وفرانز فانون وسار على خطاهم من خلال اهتمامه بمفاهيم التنوير المتعلقة بالإنسان وحقوقه السياسية على العالم غير الغربي، وهو بهذا قد استخدم القيم الإنسانية الغربية ضد الميراث الامبريالي في الثقافة الغربية، في محاولة لعلاج فشل ذلك الميراث في الاعتراف بالقيم التي تنطوي عليها الثقافات الأخرى غير الغربية؛ ومن ثم التشديد على القيم والحريات الإنسانية الحقيقية.[2]

ويعد الفيلسوف جيوفاني جامباتستا فيكو من أكثر الشخصيات المؤثرة في فكر إدوارد سعيد من خلال منهجه الخاص المنهج السياقي أو التكاملي الذي رفق إدوارد سعيد في كل كتاباته، وأولى بوادر هذا التأثير تطهر في اهتمام إدوارد سعيد اهتماما بالغا بقضية التمثيل Representation في العلوم الإنسانية،[3] وقد استفاد إدوارد سعيد من نظرية المدرسة الظاهرية القرطبية عن ابن حزم وابن جني وابن مضاء القرطبي، حيث اهتم بأفكار المدرسة الظاهرية في تفسير النصوص من خلال عدم عزلها للنص عن تفاعلاته الواقعية والبشرية والثقافية.[4]

2. صور النقد الثقافي في كتاب عبد الله الغدامي بعنوان النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية

لقد شهدت الألفية الثانية ميلاد مشروع نقدي جديد كان بمثابة نقلة نوعية في مسار النقد العربي، على يد الناقد عبد الله الغدامي حين أعلن عن مشروعه النقدي ألا وهو : «النقد الثقافي»، من خلال كتابه «النقد الثقافي قراءة في أنساق الثقافية»، لذلك سنقدم في هذا المبحث لمحة عامة عن هذا الكتاب ثم الأسس التي اعتمدها في تحليله لهذا الكتاب (ثلاثة فصول)، وأهم الآراء النقدية.

[1] رايموند ويليامز، طرائق الحداثة، ضد المتوائمين الجدد، ص247

[2] فخري صالح: ادوارد سعيد، دراسة وترجمات، ص75

[3] ادوارد سعيد: الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 26-27.

[4] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 51-52.

1/بطاقة تقنية للكتاب :

- عنوان الكتاب: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية.
- اسم المؤلف: عبد الله الغذامي.
- دار النشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.
- سنة النشر: 2005 .
- الطبعة: الثالثة.
- عدد الصفحات: 315.
- لون الغلاف: أصفر فاتح.
- حجم الكتاب: متوسط الحجم ذات قياسات (5،5/14،21).
- رقم الايداع: 9611.

2/وصف الكتاب:

يدخل هذا الكتاب ضمن المؤلفات النقدية المعاصرة الذي نشر سنة 2005 حاول فيه الكاتب صياغة وطرح الأفكار الغربية حول ماهية النقد الثقافي وآلياته من جهة ومحاولة تطبيق تلك الآليات على الخطاب العربي المعاصر فجاء الكتاب في سبعة فصول انطوى تحت كل فصل العديد من المطالب أو العناصر البحثية أسبقها بمقدمة وختمها بمكتبة للبحث ،حيث عنون الفصل الأول بـ: النقد الثقافي ذاكرة المصطلح تحدث فيه عن الدراسات الثقافية ونقدها وعن التعددات الثقافية ،أما الفصل الثاني فعنونه ب:النقد الثقافي النظرية والمنهج تحدث فيه عن ماهية النقد الثقافي وماهية الأنساق الثقافية ،وبعدها في الفصل الثالث الذي كان عنوانه:النسق الناسخ الذي تحدث فيه عن الطبقات الثقافية وزلل الشعر،أما الفصل الرابع فجاء بعنوان تزييف الخطاب الذي ربط فيه الشعر بالثقافة من ناحية القيم والأخلاق،والفصل الخامس عنونه بنسقية المعارضة الذي تحدث فيه عن مشاكله الثقافية بين المتن والهامش لأي خطاب أدبي أما الفصل السادس جاء تحت عنوان :النسق المخاتل أبرز فيه مأزق وتداخل الأنساق الثقافية فيما بينها ثم جاء الفصل السابع بعنوان:صراع الأنساق الذي استعرض فيه تضارب تلك الأنساق فيما بينها لتشكل الخطاب الأدبي.

3/تحليل الكتاب:

تحدث الغدامي عن الدراسات الثقافية ورأى بأنها عرفت شيوعا في تسعينيات القرن الماضي، وبالتحديد سنة 1964 مصاحبة للنظرية الألسنية.[1] تحت مظلة ما يسمى نقد الثقافة وتبلورت مع مدينة كوبنهاجن ومدرسة فرانكفورت الذين قدموا مصطلح التعددية الثقافية.[2] من منظور: الهيمنة، التجاوز، المعارضة، وبدأ النقد الثقافي يأخذ نطاق واسع عبر ما قدمه ليتش من خصائص لهذا النقد وهي:

- تحليل النص وفق كل شيء.
- يستفيد من جميع المناهج المعرفية.
- يركز على أنظمة الخطاب.[3]

[1] الغدامي، النقد الثقافي، ص 19.

[2] المرجع نفسه، ص 21.

[3] الغدامي، النقد الثقافي، المرجع السابق، ص 32.

وفي حديثه عن مصطلح النقد الثقافي أكد على صعوبة تفويض هذا المصطلح نظرا لشموليته من جهة وحركيته الدائمة من جهة أخرى، فقدم لذلك فصل كامل بذاته عن هذا المصطلح، حيث أعطى ستة عناصر له هي:

- عناصر الرسالة.
- المجاز.
- التورية الثقافية.
- نوع الدلالة.
- الجملة النوعية.
- المؤلف المزدوج.[1]

أما الفصل الثالث تحت عنوان «النسق الناسخ» (اختراع الفحل) وفيه يعترف الغدامي بعظمة الشعر العربي وجماليته، ولكن بقدر جماليته وعظمته إلا أنها تخبئ «قبحيات عظيمة».[2]

وبما أن الشعر من مقومات الشخصية العربية يقم الغدامي صورا ثقافية هي بمثابة انعكاس للخلل النسقي الذي يحدثه الشعر:

أ. شخصية الشحاذ البليغ والشاعر المداح.
ب. شخصية المنافق المثقف -الشاعر المداح.
ج. شخصية الطاغية –شخصية الطاغية.
د. شخصية الشرير المرعب –الشاعر الهجاء.[3]

4/الآراء النقدية:

شغل عبد الله الغذامي منذ بداياته بنقل المناهج النقدية الغربية الحديثة إلى الساحة النقدية العربية، واستثمارها في قراءة النصوص الأدبية، شأنه في ذلك شأن كثير من النقاد في مرحلة الثمانينيات، التي تميزت بالتركيز على أدبية النص الأدبي وطغيان المناهج النصية، رغم هذا فملامح المشرع الثقافي رافقت الغذامي منذ كتاباته الأولى، إلا أن إقدامه على التنظير ظهر في كتابه «النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية»، منطلقاً

[1] المرجع نفسه، ص 63.
[2] المرجع نفسه، ص 94.
[3] الغدامي، النقد الثقافي، المرجع السابق، ص 99.

من إيمان بقصور النقد الأدبي في قراءة النصوص حيث «اقتصر على نوع من القراءة الخالصة والتبريرية للنصوص الأدبية، ويريد له أن ينخرط في كشف العيوب النسقية المختبئة خلف النصوص أو فيها، ومن ذلك يريد القول بأن الوظيفة التقليدية للنقد أفضت إلى نوع من "العمى الثقافي".[1]

وينتقل الغذامي إلى وظيفة النقد الثقافي حيث يجري التحول من نقد النصوص إلى نقد الأنساق وذلك من خلال «فك الارتباط بين المؤثر والمتأثر بين سلبية الأثر الذي تركه الشعر والشخصية العربية، وهن خلال ذلك يقرر بأن الوظيفة التقليدية للنقد كرست تلك العلاقة؛ كرستها لأنها شغلت فقط بالأبعاد الجمالية لها لم تجرؤ أبدا على اختراق الحجب التي تقع ما وراء ذلك».[2]

ويبدأ باستنطاق الأخطاء النسقية التي غزت الشخصية العربية بفعل الشعر، أو بفعل فهم قاصر ومحدد له ويرى أن العيوب النسقية في الشعر العربي هي السبب في عيوب الشخصية العربية، فقد انبنت، تلك الشخصية في ضوء الموجهات الشعرية الفاعلة، وفي مقدمة تلك شخصية الطاغية/المستبد التي هي إحدى تجليات الفحولة، ذلك المفهوم المستقر في الشعر العربي القديم، فقد ورثت تلك الشخصية القيم الشعرية، وتمثلتها فأصبحت مكونا أساسيا من مكوناتها في العلاقات والسلوك، استثمر العربي تركة القيم الشعرية فتشربها، فاستبدت به وامتثل لها فصاغته صوغاً شعرياً».[3]

إن الغذامي يجعل الأنساق كلها في نسق واحد وهو شعرنة الخطاب العربي المعاصر القائم منذ القديم على اختراع الفحل وتزييف الخطاب وصنع الطواغيت، وتفضيل الصمت على الحكي، والتباس الحديث بالرجعي.[4]

3. القضايا النقدية والمرجعيات الغربية لإدوارد سعيد في كتابه الإستشراق

يستند كتاب الاستشراق إلى مفهوم الخطاب من أجل إعادة تنظيم دراسة الاستعمار، باعتباره صورة للتبادل والتفاعل بين المؤلفين الأفراد والمشاغل السياسية الكبرى التي شكلتها الإمبراطوريات العظمى الثلاث البريطانية، الفرنسية والأمريكية، سنقدم في هذا المبحث لمحة عامة عن هذا الكتاب ثم تحليله وأهم الآراء النقدية التي وجهت له.

[1] عبد الله ابراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية، ص 335.

[2] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص77، 78.

[3] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص 83-84.

[4] المرجع نفسه، ص 87-88.

1/بطاقة تقنية للكتاب

- **عنوان الكتاب:** الإستشراق.
- **إسم المؤلف:** إدوارد سعيد.
- **ترجمة:** محمد عناني.
- **دار النشر:** دار بتجوين للنشر والتوزيع
- **الطبعة:** دون طبعة.
- **السنة:** 1990
- **سنة الترجمة:** 2008.
- **عدد الصفحات:** 561

2/وصف الكتاب:

قدم هذا الكتاب للحديث عن ظاهرة الإستشراق في ثلاثة فصول ضمت العديد من العناصر البحثية؛ فجاء عنوان الفصل الأول بـ«نطاق الإستشراق»: تحدث فيه عن معرفة الشرق والثقافة الشرقية، أما الفصل الثاني بعنوان: «أبنية الإستشراق وإعادة بنائها» تكلم فيه عن علمانية الدين والقضايا الثقافية، وفي الفصل الأخير تحدث عن «الإستشراق الآن» التي يعتبرها كمرحلة للتوسع الاستعماري في الشرق، كما تحدث أيضا عن الإستشراق الكامن والإستشراق السافر.

3/تحليل الكتاب:

أحدث كتاب الاستشراق ضجة كبيرة في وسط الساحة النقدية نظرا لما حمله من أفكار وأطروحات، حيث ترجم إلى أكثر من 18 لغة وكما ذكرنا سالفا فقد قسم الكتاب إلى ثلاثة فصول صبت كلها في موضوع واحد هو التداخل الحضاري وفكرة الاستشراق، حيث قدم لنا سعيد ثلاثة تعريفات للإستشراق منها قوله: «فكل من يدرس الشرق أو يكتب عنه ويبحث في سماته العامة أو الخاصة فهو مستشرق» وقوله أيضا: «هو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة هيكلته وامتلاك السلطة عليه».[1]

كما رصد سعيد بعض نجوم الفكر والأدب الأوروبي الذين كانت لهم آرائهم المحددة بشأن الإمبيريالية، وذلك بالعودة إلى مؤلفاتهم من أمثال جون ستيوارت ميل وجورج إليوت...إلخ.[2] ويرى سعيد أن تاريخ الإستشراق أدى إلى تعصب الغرب ضد العرب، ويكمل قوله: «أن ما زاد الأمر سوء هو عدم اهتمام أي شخص أكاديمي بالشرق الأدنى على التعاطف الكامل والصادق ثقافيا وتاريخيا مع العرب».[3]

فسعيد يرى أن دارسي الشرق لم يكونوا موضوعين بشكل كبير لأنهم انحازوا إلى الغرب، ورأوا أنه هو الأصل، وتحدث في الفصل الثاني على البنى الإستشراقية وقدمها في أربعة قضايا هي:

- التوسع: عن طريق الرحالات والاستكشافات.
- المجابه التاريخية: الاعتماد على التاريخ في دراسة الشرق.

[1] إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: محمد عناني، ص 136.

[2] المرجع نفسه، ص 142.

[3] المرجع نفسه، ص 144.

- التعاطف: تحت شعار النفوذ إلى الثقافة بالعاطفة.
- التصنيف: هو تقسيم طبيعة الإنسان إلى أصناف.[1]

وفي الفصل الثالث تحدث عن الإستشراق الكامن والظاهر كأبرز شكلين للإستشراق، حيث قدم معرفة أمريكا للعرب تحت مظلتين هما؛ الصورة الشعبية والثقافة المهيمنة.

ويحدد القسم الأخير من هذا الفصل بخصائص النقلة من التسلط البريطاني والفرنسي إلى التسلط الأمريكي.[2]

الآراء النقدية:

تضمن هذا الكتاب آراء نقدية هامة وأفكارا جريئة في عدة مجالات خاصة النقد والسياسة تصدى لمهمة الكشف عن العلاقة بين السلطة والمعرفة أيضا بين الثقافة والإمبريالية، وعمد إلى استجواب الخطاب الاستشراقي، وبحث في كيفية تشكله وما ينطوي عيه من تناقضات وتجاوزات، متعارضا بذلك مع ما تقره وتفرضه عنوة المؤسسة الأدبية والثقافية فهي حسب إدوارد سعيد «بصفة عامة» قد أعلنت أن الدراسة الجادة للإمبريالية والثقافة منطقة محضورة؛ إذ أن الاستشراق يدفعنا إلى المواجهة المباشرة مع هذه المسألة أي إدراك أن الإمبريالية أي السياسية تحكم مجالا كاملا من الدراسات والإبداع والمؤسسات البحثية، بحيث يصبح تجنبها محالا من الناحيتين الفكرية والتاريخية، ومع ذلك فإن آلية الهروب تضل قائمة على الدوام، وهي القول بأن الباحث الأدبي، والفيلسوف، على سبيل المثال، قد تلقيا تعليمهما في الأدب والفلسفة على الترتيب، لا في السياسة والتحليل الأيديولوجي، وهكذا وبتعبير آخر، تستطيع حجة المتخصص أن تحقق نجاحا فعليا في الحيلولة دون إتاحة المنظور الأشمل، وهو في رأيي أشد خطرا من الناحية الفكرية».[3]

إن لإدوارد سعيد في كتابه " الإستشراق " رغبة جامحة واعتقاد مترسخ في أعماق فكره النقدي الثاقب؛ تتمثل في ضرورة اعتناق الشك ومساءلة النصوص والخطابات المنفتحة بالضرورة على جميع مجالات الحياة، فتحليلاته هي «قراءات نصية دقيقة ترمي إلى إماطة اللثام عن الجدلية الدائرة بين النص أو المؤلف الفرد من ناحية

[1] إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص ص 198-203.
[2] المرجع نفسه، ص ص 312-317.
[3] المرجع نفسه، ص 60.

وبين التشكيل الجماعي المركب الذي يشارك فيه عمل المؤلف».[1] فهذا الكتاب يقدم للدراسات الأدبية والنقدية نموذجا رائعا للعلاقات المتداخلة ما بين المجتمع والتاريخ والنصوص، كما إن الدور الثقافي الذي قام به الشرق في بلدان الغرب يربط الإستشراق بالأيديولوجيا والسياسة، ومنطق السلطة، وهي أمور تهم المجتمع الأدبي.[2].

[1] إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص 74.

[2] نفسه، ص 75.

خاتمة

كان ختام بحثنا نقاط تمثل أهم النتائج وهي محاولة الإجابة عن أبرز الإشكاليات التي دار حولها البحث ومنها نذكر:

- يهدف النقد الثقافي إلى أخذ السلطة من النقد الأدبي كون هذا الأخير عاجز عن كشف الخلل النسقي في الثقافة العربية فتصدى النقد الثقافي للقيام بهذه المهمة.
- يرتكز النقد الثقافي على أنظمة الخطاب وللنقد الثقافي في خاصية أنظمة الإفصاح ونصوص كما هي لدى بارت وفوكو وديريدا وغيرهم من رواد الدراسات الثقافية .
- للنقد الثقافي خاصية معرفة الدلالات النسقية الموجودة في الجملة الثقافية.
- يجعلنا ندرك الحقائق التي يرسي إليها المبدع من خلال نصه، فهي تترجم انفعالاته ومدركاته الحسية.
- يعد عبد الله الغدامي من أكبر رواد النقد الثقافي عند العرب، فالنقد الثقافي عنده يعمل على كشف الأنساق المضمرة داخل النصوص الأدبية سواء أكانت شعرية أو نثرية.
- الإستشراق دفاع عن الإسلام «موقف نقدي» صمم بصورة جدية من طرف الناقد «سعيد» دليل على تحرره الفكري العربي عن الفكر الغربي.
- المفاهيم النقدية لدى إدوارد سعيد يتخللها لغة عسيرة وتقنية عالمية، لا يستطيع القارئ العادي أن يفهمها، خاصة فيما يتعلق بالخطاب الاستعماري.
- يتناول النقد الثقافي الموضوعات التي تتعلق بالممارسة الثقافية وعلاقتها بالسلطة تهدف من ذلك إلى مدى تأثير تلك العلاقات على شكل الممارسة الثقافية.

وأخيرا نرجوا أن نكون قد جلبنا انتباه القراء والدارسين للاطلاع على المداخل المعتمدة لـ«النقد الثقافي».

وفي الأخير، لا يسعنا إلا أن نسال الله العظيم والتوفيق والسداد، راجين أن يفيد المهتمين والباحثين.

قائمة المصادر والمراجع

1. المصادر والمراجع:

- ابراهيم عبد الله: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية.
- آل وادي علي شناوة ، سامر قحطان سلمان: النقد الفني دراسة في المفاهيم والتطبيقات.
- ايزايرجر آرثر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط1، 2003.
- البازغي سعد، ميجان الرويلي: "دليل الناقد الأدبي ".
- بلمليح إدريس: الرؤية والمنهج لدى الغذامي، كتاب الرياض.
- بن الرقاع عدى: ديوانه تحقيق الدكتور نورى حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن، المجمع العلمي العراقي، 1987.
- بن نبي مالك، "مشكلة الثقافة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 2000.
- بنى شيبان نابغة، ديوانه، القسم الأدبي بدار الكتب المصرية. القاهرة 1932.
- ت.س.إليوت: ملاحظات نحو تعريف الثقافة"، ترجمة د شكري عياد ضمن كتاب دراسات في الأدب والثقافة المجلس الأعلى للثقافة، 2000.
- الجاحظ:"البيان والتبيين " تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجى ،ج 2 ، القاهرة،.
- جاسم الموسوي محسن: "النظرية والنقد الثقافي "، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005.
- جبري إدريس: الإمكانات والعوائق في المشاكلة والاختلاف، كتاب الرياض.
- حافظ صبري، أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996.
- حامد أبو أحمد: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية للدكتور عبد الله الغذامي، كتاب الرياض.
- حجازي سمير سعيد: مشكلة التفكير العلمي في دراسات الأدب المعاصر، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 2010.
- حزين صلاح: إدوارد سعيد موسيقيا، مجلة الكرمل، ع 85 ، 2005، فلسطين.
- حسين طه: مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، مصر، ط 2.
- حفناوي بعلي:" مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن" ، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2007.

- زيودينساردار، فان لور بورين:" الدراسات الثقافية"، ت وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.
- سعيد ادوارد: "الأنسنية والنقد الديمقراطي" ، ترجمة فواز طرابلسى ، دار الآداب ، بيروت 2005 .
- سعيد ادوارد: الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
- سعيد ادوارد: الثقافة والمقاومة، تر علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، بيروت، ط1، 2007.
- سعيد إدوارد: القلم والسيف، تر توفيق الأسدي، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1998.
- سعيد إدوارد: تعقيبات على الاستشراق، تر صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996.
- سعيد إدوارد: خارج المكان، مذكرات، تر فواز طرابلسى، دار الآداب، بيروت، ط1، 2000 .
- سعيد إدوارد، الثقافة والإمبريالية، نقله إلى العربية وقدم له كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.
- السماهيجي حسين وآخرون: دراسات (عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية).
- صالح فخري: ادوارد سعيد، دراسات وترجمات، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2009.
- الصديق سين: "الإنسان والسلطة"، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001.
- عبد المطلب محمد: "النقد الأدبي "الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2003.
- عز الدين مناصرة، النقد الثقافي المقارن منظور جدلي تفكيكي.
- العقيلي عبد الفتاح: "النقد الثقافي، قضايا و قراءات".
- الغذامي عبد الله ، عبد النبي اصطيف، "نقد ثقافي أم نقد أدبي"، مكتبة الأسد، دار الفكر، دمشق، 2004.
- الغذامي عبد الله: رحلة إلى جمهورية النظرية، مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1998.
- الغذامي عبد الله:" النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية "، المركز الثقافي العربي.
- الغذامي عبد الله: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية للكتاب 1998.
- الغذامي عبد الله: الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب، بيروت، 1991.

- الغذامي عبد الله: المشاكلة والاختلاف قراءة في النظرية النقدية العربية و بحث في الشبيه المختلف، المركز القافي العربي بيروت 1994.
- الغذامي عبد الله: ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، دار سعادة الصباح، الكويت 1993.
- فوكو ميشال: حفريات المعرفة، تر سالم يفوت، المركز الثقافي العربي،، بيروت، ط2، 1987.
- قنسوة صلاح: " تمارين في النقد الثقافي "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة،2007.
- كاظم نادر: تعارضات النقد الثقافي أو رحلة النسق المتناسخ، دراسات (عبد الله الغذامي و الممارسة النقدية و الثقافية المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2000.
- الكعبي ضياء: السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، بيروت لبنان.
- كوليني ستيفان ، دفاعا عن النقد الثقافي، تر: رمضان مهلهل سدخان، الثقافة الأجنبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع 3-4، 2010.
- محمود خليل إبراهيم: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2007.
- مهيبل عمر: من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2007.
- نجيب محمود زكي: "تجديد الفكر العربي" ، دار الشروق، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، 2004.
- وغليسي يوسف ، النقد الجزائري من اللانسونية إلى الالسنية، إصدار رابطة الإبداع الثقافية، د،ط:2002.
- وغليسي يوسف مناهج النقد الأدبي الحديث جسور للنشر والتوزيع الجزائر ط الاولى2007.
- ولبيام دهارت: ادوارد سعيد والمؤثرات الدينية للثقافة، تر قصي أنور الذبيان، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1 2011.
- ويليامز رايموند ، طرائق الحداثة، ضد المتوائمين الجدد.

المعاجم والقواميس:

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دتح، مادة ثقف.

المجلات:

- جغبوب صورية ، النقد الثقافي مفهومه وحدوده وأهم رواده، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة، العدد الأول.
- محمد شاهين: قمة عربية شامخة خارج المكان، مجلة العربي، ع 655 ، 2013، الكويت.
- محمد عبيد الله: "النقد الثقافي والدراسات الثقافية"، مجلة أفكار، العدد7، 2009.
- جهاد فاضل: حوار مع شقيقة المفكر ادوارد سعيد، تر أمير الغندور، مجلة العربي، ع 655.
- فتحي إبراهيم، النقد الثقافي-نظرة خاصة-، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع 63، شتاء-ربيع 2004.
- خلادي محمد الأمين: المفكر ادوارد سعيد وبصمة الفرادة في خطاب النقد الثقافي، مجلة العلوم الاجتماعية، ع 09، 2009.

أوراق بحثية ومواقع إلكترونية:

- جميل حمداوي: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، 4 يناير 2012م.
- فانوس وجيه: "واقع الدراسات الثقافية العربية"، النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، 17-11-2007.
- الضبع مصطفى:"أسئلة النقد الثقافي ".

ملتقيات:

- عبد الوهاب أبو هاشم: "مشروع النقد الثقافي " ، مقدمة في ملتقى الإبداع، اللقاء الخامس، اليوم الخامس 17 أفريل 2003.

الرسائل والمذكرات:

- ديامنتة قماري: النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي، مذكرة لنيل درجة الماجستير، النقد العربي المعاصر ومصطلحاته، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، اشراف د أحمد زغب، 2012-2013.

ملاحق

ملحق رقم 01:

إدوارد سعيد:

هو مفكر وناقد أدبي عربي أمريكي ولد في القدس، في فلسطين عام 1935 . وتوفي في أمريكا عام 2003، والتحق في مطلع حياته بالمدارس الابتدائية والثانوية في القدس وفي القاهرة ثم تخصص في الأدب الإنجليزي في جامعة برن ستون الأمريكية عام 1957، وحصل على الماجستير من جامعة هارفارد في عام 1960 وعلى الدكتوراه في الجامعة نفها عام 1964، حيث فاز بجائزة أفضل ناقد فلفت الأنظار إليه، وبدأ حياته العلمية أستاذا يتنقل بين الجامعات الأمريكية الكبرى حتى استقر به المقام في جامعة كولومبيا أستاذ اللغة الإنجليزية وآدابها وللأدب المقارن، وقد اشتهر بنقده الثقافي كما اشتهر باهتمامه البالغ بالقضية الفلسطينية وإلقاء الضوء على الممارسات والانتهاكات الإنسانية. أصدر العديد من الكتب الهامة في مجالات عديدة ناكر منها:

- جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية (1966).
- بدايات: القصد والمنهج (1975).
- الإستشراق (1978).
- القضية الفلسطينية (1979).
- تغطية الإسلام (1981).
- العالم والنص والناقد (1984).

الملحق رقم 02:

عبد الله الغدامي:

ناقد أدبي وثقافي سعودي ولد في مدينة عنيزة عام 1946، حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة اكسر ببريطانيا، أستاذ النقد والنظرية في جامعة الملك سعود بالرياض، أسس مجلة كلية الآداب، ودرس قسم الإعلام ثم قسم اللغة العربية، واشرف على صياغة عدد من المشروعات ألعلمية مثل مركز التعريب ومركز البحث العلمي، عمل نائبا للرئيس في النادي الأدبي الثقافي بجدة منذ 1980 لمدة اثني عشرة سنة وأسهم في صياغة المشروع الثقافي لهذا النادي في المحاضرات، والندوات والمؤتمرات ونشر الكتب والترجمة تحصل على جائزة مكتبة التربية العربي لدول الخليج، وجائزة مؤسسة العويس الثقافية عام 1999 . من أعماله:

- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريعية (1985).
- الصوت القديم الجديد، بحث في الجذور العربية لموسيقى الشعر العربي (1987).
- الموقف من الحداثة (1987). الكتابة ضد الكتابة (1991).
- ثقافة الأسئلة مقالات في النقد والنظرية (1992).
- القصيدة والنص المضاد (1994).
- رحلة إلى جمهورية النظرية، مقارنات لقراءة وجه أمريكا الثقافي (1994).
- المشاكلة والاختلاف قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه والمختلف (1994).
- المرأة واللغة (1996).
- ثقافة الوهم، مقارنات حول المرة والجسد واللغة (1998).
- حكاية سحار، حكايات وأكاذيب (1999).
- تأنيث القصيدة والقارئ المختلف (1999).
- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية (2000).
- حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية (2004)، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي (2004).